المعارضة السياسية للنبي (ﷺ)
في العهد المكي والمدني

ياسر محمد عبد الله الراشدي

The political opposition to the prophet Mohammed (PBUH) on era of (Mekki and Medina time)

Yasir Mohammed Abdullah Al-Rashidi

1.The researcher showed that legitimate policy is one of the necessities of the time; it is necessary to follow the policy of the prophet in his legitimate policy to understand it`s real meaning

2.The researcher exposed the political situation in the Arabic peninsula before Islam and he showed the most important positive and negative aspects

3.The researcher briefed the approaches which the polytheists had followed in Mecca in their political opposition to the prophet

4.He showed the methods which the hypocrites had followed in medina in their political opposition to the prophet

L'opposition politique contre le Prophète -PSL- dans la période de la Mecque et de Médine

Yasser Mohammed Abdullah Al-Rashidi...

1-Le chercheur montre que la politique légitime est l'une des nécessités du temps, donc il faut suivre le programme légitime du Prophète –PSL- pour arrêter sur sa veritable signification.

2-Le chercheur a exposé la situation politique dans la péninsule arabique avant l'Islam. Et il a montré les avantages et les inconvenient les plus importants qui étaient là.

3-Le chercheur a résumé les méthodes les plus importantes des polythéistes de la Mecque dans l'opposition politique contre le messager –PSL-.

4-Il montre les méthods politiques de l'opposition utilisées par les hypocrites de Médine contre le messager…

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للناس أجمعين خاتم الأنبياء والمرسلين، نبينا ورسولنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد :

فحين نقرأ السيرة النبوية نجد أن الباحث عليه أن يتوقف أمام أمور ينظر لها بعين الجد والاهتمام لكي يصل الى النتيجة المرجوة من بحثه وهي الوصول الى نتيجة علمية مقبولة.

فالمعارضة السياسية للنبي –ﷺ– في العهد المكي والمدني له اهمية كبيرة في سيرة نبينا محمد –ﷺ–، ولما وجدت ضعف في المنهج السياسي عند الكثيرين من العاملين في ميدان السياسة، واستخدموا وسائل واساليب للتغير ما انزل الله بها من سلطان، فقد دفعني ذلك الى اختيار موضوع يتعلق بمنهج المعارضة والسياسة، وذلك لإبراز الصورة الناصعة للإسلام وعرضها على الناس كما عرضها القرآن الكريم وعرضتها السنة النبوية واقتفى اثرها العلماء.

فتأتي أهمية الموضوع عندما نرى بعض الذين ينتسبون الى هذ الدين وأحيانا نسمع عن البعض كيف يختط لنفسه منهجاً سياسياً يقوم على الاستعباد والاستبعاد، فكم عجت الساحة السياسية بمشاكل تضر السياسة الشرعية أكثر مما تفيدها بسبب غياب الأسلوب السياسي الحكيم، والعقل الراجح السليم والقلب الرحيم، بل الأعجب والأغرب في ذلك أن ترى تلك الأساليب الخاطئة حتى في بعض الذين ينتسبون الى جهات وتيارات اسلامية وكم من مريد للخير لن يصيبه، فلك أن تتصور حجم المأساة والضرر الذي نلحقه بديننا جراء سلوكيات لا تنضبط باطار مقاصد وغايات الشريعة السمحة.

وأما عن الصعوبات التي واجهتني في إعداد هذا البحث، فمن المعلوم ان بدايات كل عمل لا بد وأن يكون فيها مستوى معين من الصعوبة، ومنها:–

١- قلة المصادر والدراسات التي تتحدث عن المعارضة السياسية للنبي -ﷺ- بعمق، وهذا مما جعل الموضوع شاقاً بعض الشيء.

٢- والظروف الأمنية التي يعيشها البلد مما انعكس عليّ جهداً مضنياً وتعباً شديداً.

وأما عن الدراسات السابقة فلم أجد كتاباً تطرق الى موضوع المعارضة السياسية للنبي -ﷺ-، وكذلك لم أجد كتابا حديثا يتطرق إلى هذا الموضوع بشكل مباشر ومعمق، ولكن هنالك كتب تتناول السياسة النبوية بشكل عام، وقد استفدت كثيرا من كتب السيرة والتاريخ، وكتب السياسة الشرعية والقضاء، وكتب الفكر الاسلامي.

واتخذت المنهج التربوي، وأعني به النظرة العلمية والبحث عن كيفية تركيب البحث وترتيبها، لأنه أقرب المناهج لتناول موضوع السياسة الشرعية والفكر الاسلامي.

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يقسم الى ثلاثة مباحث، وهو على النحو الآتي:-

أما المبحث الاول: تناولت فيه **(الحالة السياسية في الجزيرة العربية قبل الإسلام).**

أما المبحث الثاني: وضحت فيه **(اساليب مشركين مكة في معارضتهم السياسية للنبي -ﷺ-).**

أما المبحث الثالث: ايضاً وضحت فيه **(اساليب منافقين المدينة في معارضتهم السياسية للنبي -ﷺ-).**

أما الخاتمة أوجزت فيها أهم النتائج التي توصلت اليها من خلال هذا البحث، وحسبي ان اقول : اللهم هيئ لنا من امرنا رشدا واجعل لنا من كل ضيق مخرجا، وانا اسعى ببحثي جاهدا ابتغي الدعوة لهذا الدين بما أعطاني الله وبما مكنني فيه عسى ان يقبل العمل وان يتقبل مني النية والله من وراء القصد.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

المبحث الاول

الحالة السياسية في الجزيرة العربية قبل الإسلام

لابد لنا من التعرف على الواقع السياسي للجزيرة العربية آنذاك، لنكون تصوراً واضحاً عن تلك التيارات وأبعادها وأيديولوجياتها وأهدافها التي ظهرت واضحة في ذلك العهد.

ويمكننا القول أن الحالة السياسية للجزيرة العربية قبل الإسلام كانت متأرجحة بين السلب والايجاب في السلوكيات السياسية والاجتماعية وحتى الاقتصادية، فالأقطار الثلاثة التي كانت مجاورة للجزيرة، هي مملكة اليمن في الجنوب، ومملكة الحيرة في الشمال الشرقي، ومملكة الغساسنة في الشمال الغربي حيث كانت حالتها السياسية في تضعضع وانحطاط، وكان الناس بين سادة وعبيد، أو حكام ومحكومين، فالسادة لهم كل الغُنم، والعبيد عليهم كل الغُرم، وبعبارة أوضح إن الرعايا كانت بمثابة مزرعة تورد المحصولات إلى الحكومات، فتستخدمها في ملذاتها وشهواتها، ورغائبها، وجورها، وعدوانها(١).

أما الناس فهم في عمايتهم يتخبطون، والظلم ينحط عليهم من كل جانب وما في استطاعتهم التذمر والشكوى، بل هم يسامون ألواناً شتى من الجور والعذاب لا يستطيعون أن يتفوّهوا بكلمة، فالحكم استبداديا، والحقوق ضائعة مهدورة، والقبائل المجاورة لهذه الأقطار مذبذبون تتقاذفهم الأهواء والأغراض، مرة يدخلون في أهل العراق، ومرة يدخلون في أهل الشام، وكانت أحوال القبائل داخل الجزيرة مفككة الأوصال، تغلب عليها المنازعات القبلية ولم يكن لهم ملك يدعم استقلالهم، أو مرجع يرجعون إليه، ويعتمدون عليه وقت الشدائد(٢).

---

(١) ينظر : الرحيق المختوم، صفي الرحمن المباركفوري (ت:١٤٢٧هـ) دار الهلال، ط١ (بيروت / ١٤٢٥هـ /٢٠٠٤م) ٢٦.

(٢) المصدر نفسه، ٢٦.

وتسمى الجزيرة العربية بشبه الجزيرة تجوزاً، لوقوعها بين ثلاثة أبحر، الأحمر غربا، والهندي جنوبا، والخليج شرقا، وهي من المناطق السياسية ذات الأثر على الحياة الاجتماعية.

ففي اليمن حيث ملوك حمير من التبابعة وغيرهم، والحيرة شرقاً إلى العراق حيث المناذرة، والشمال حيث الغساسنة، أما الوسط وهو نجد والحجاز وتهامة فأنه دائرة المجد، وموضع طلوع الفجر، فأرض حماها مولاها من سطوة الجبابرة، وسياسة المتاجرة، فلم تصل إليها يد الأحباش والأوباش، ولا يد الفرس الأنجاس، ولا يد الروم ولا الرومان الانكاس، لأنها مشرق الأنوار، ومكمن الأسرار، وعما قريب يطلع نجمها ويعلو كعبها، وتسود الدنيا بما فيها(١).

ويمكننا الاستدلال على المثل الايجابية للواقع السياسي الذي عاشته جزيرتنا العربية بالحلف الذي حضره رسولنا الكريم -ﷺ- وهو لم يزل في بدايات شبابه، حيث دعت إليه بعض الأيادي النظيفة من قريش والتي رفضت الظلم والجور على أرضهم بلد الله الحرام، ويسمى ذلك الحلف بحلف الفضول(٢).

ومما يروى فيه أن رجلاً من زبيد قدم مكة ببضاعة، فاشتراها منه العاص بن وائل السهمي(٣)، وحبس عنه حقه، فاستعدى عليه الأحلاف عبد الدار، ومخزوما، وجمحا، وسهما، وعديا، فلم يكثروا له، فعلا جبل أبي

(١) ينظر: هذا الحبيب محمد رسول الله -ﷺ- يا محب، أبو بكر الجزائري، دار الخاني، ط٣، (المملكة العربية السعودية/١٤٠٩ه/١٩٩٨م) ٢٤- ٢٥.

(٢) المصدر نفسه، ٢٥.

(٣) هو العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم، وكان ممن يعادي النبي -ﷺ- ويؤذيه، ولما توفي القاسم بن رسول الله -ﷺ- بمكة قال العاص بن وائل: قد انقطع نسل محمد وهو أبتر، فولد العاص: عمرو بن العاص -رضي الله عنه-، وأمه النابغة بنت خزيمة، وهي امرأة من عترة سبيئة، يقال إنها ممن سقط إلى مكة، وهشام بن العاص وأمه حرملة بنت هشام بن المغيرة، ينظر: جمل من أنساب الأشراف، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري (ت:٢٧٩ه) تحقيق: سهيل زكار و رياض الزركلي، دار الفكر، ط١ (بيروت/١٤١٧ه/١٩٩٦م) ج١٠/٢٧٧.

قبيس[١]، ونادى بأشعار يصف

فيها مظلمته رافعا صوته، فمشى في ذلك الزبير بن عبد المطلب[٢]، وقال: ما لهذا مترك؟ حتى اجتمع الذين مضى ذكرهم في حلف الفضول، فقاموا إلى العاص ابن وائل فانتزعوا منه حق الزبيدي بعد ما أبرموا الحلف[٣]، وكان حلف الفضول أكرم حلف سمع به في العرب[٤]، وقد قال عنه -ﷺ- بعد أن أكرمه الله بالرسالة (لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفا ما أحب أن لي به حمر النعم، ولو

(١) جبل أبي قبيس، وهو الجبل الّذي يشرف على الصّفا إلى السويداء إلى الخندمة، وكان يسمّى في الجاهلية الأمين ؛ ينظر: المسالك والممالك، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي (ت:٤٨٧ه) دار الغرب الإسلامي (١٩٩٢م) ج١/ ٤٠١.

(٢) هو الزبير بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي، وأجمع الناس على أن الزبير بن عبد المطلب شاعر، والحاصل من شعره قليل، ينظر: الطبقات الكبير، محمد بن سعد بن منيع الزهري (ت:٢٣٠ه) تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، ط١ (القاهرة/٢٠٠١م) ج١٠/ ٤٧ ؛ وطبقات فحول الشعراء، محمد بن سلّام بن عبيد الله الجمحي بالولاء أبو عبد الله (ت:٢٣٢ه) تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المدني (جدة) ج١/٢٤٥.

(٣) ينظر: السيرة النبوية لابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري أبو محمد جمال الدين (ت: ٢١٣هـ) تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ط٢ (مصر/١٣٧٥ه/١٩٥٥م) ج١/١٣٣-١٣٤ ؛ والمنتظم في تاريخ الأمم والملوك، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: ٥٩٧هـ) تحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط١ (بيروت/١٤١٢ه/١٩٩٢م) ج٢/٣٠٨-٣٠٩-٣١٠ ؛ والكامل في التاريخ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري عز الدين ابن الأثير (ت:٦٣٠ه) تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، ط١ (بيروت/١٤١٧ه/١٩٩٧م) ج١/٦٤١-٦٤٢.

(٤) ينظر: الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (ت: ٥٨هـ) تحقيق: عمر عبد السلام السلامي، دار إحياء التراث العربي، ط١(بيروت/ ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م)ج٢/٤٦.

أدعي به في الإسلام لأجبت)[١]، ولقد نافت روح هذا الحلف الحمية الجاهلية التي كانت العصبية تثيرها.

ويمكننا الإفادة من هذا الحلف انه:

١.حلف قام على أساس قبلي وحضره رسول الله -ﷺ- بصفته فردا من بني هاشم قبيلته.

٢.هدف هذا الحلف هو نصرة المظلوم على الظالم وإيصال حقه له، ومع أنه لم يقل: ولو أدعى إلى مثله، فلا ضير في ذلك طالما أن هدفه نصر المظلومين، ونصر المظلوم هدف أساسي في الإسلام.

٣.كما يمكننا القول أن للجماعات الإسلامية حرية التحالف مع أي جهة كانت من أجل نصر المظلومين والدفاع عن حقوقهم.

٤.بل بتعبير أدق، أن الجماعات الإسلامية لو وصلت إلى الحكم، وكانت الدولة قبلها قد عقدت عهودا أو مواثيق هدفها نصر المظلومين، فمن حقها اعتبار هذه العهود والمواثيق سارية المفعول.

٥.وفيه أيضا دلالة على أنّ الحياة مهما اسودّت صحائفها، وكلحت شرورها، فلن تخلو من نفوس تهزّها معاني النبل، وتستثيرها إلى النجدة والبر[٢].

ففي الجاهلية الغافلة نهض بعض الرجال من أولي الخير، وتواثقوا بينهم على إقرار العدالة وحرب المظالم، وتجديد ما أندرس من هذه الفضائل في أرض الحرم[٣]، وعلى العكس تماما من هذا نجد هناك الكثير من الحالات السياسية السلبية

---

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي الخراساني أبو بكر البيهقي (ت:٤٥٨هـ) تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط٣ (بيروت/١٤٢٤ هـ/ ٢٠٠٣ م) كتاب قسم الفيء والغنيمة، باب إعطاء الفيء على الديوان ومن يقع به البداية، رقم الحديث: (١٣٠٨٠) ج٦/٥٩٦، قال الشيخ شعيب الأرناؤوط : (إسناده صحيح).

(٢) ينظر: التحالف السياسي في الإسلام، منير محمد الغضبان، مكتبة المنار، ط١ (الأردن /١٤٠٢ه /١٩٨٢م) ٩.

(٣) ينظر: فقه السيرة، محمد الغزالي السقا (ت:١٤١٦ه) دار القلم، ط١ (دمشق/١٤٢٧) ٧٦.

التي سادت الجزيرة العربية وانتشرت فيها حيث المنازعات على ابسط الأمور ونشوب الحروب الطاحنة بين قبائلها لأتفه الأسباب، كما حصل ذلك في حرب الفجار حيث شارك النبي-ﷺ- فيها وكان عمر النبي -ﷺ- سلام آنذاك عشرون عاما عندما وقعت تلك الحرب بين قريش ومن معهم من كنانة وبين قيس عيلان، وكان قائد قريش وكنانة كلها حرب بن أمية[١] لمكانته فيهم سنا وشرفا، وكان الظفر في أول النهار لقيس على كنانة، حتى إذا كان في وسط النهار كان الظفر لكنانة على قيس. وسميت بحرب الفجار لانتهاك حرمات الحرم والأشهر الحرم فيها، وقد حضر هذه الحرب رسول الله -ﷺ- وكان ينبل على عمومته، أي يجهز لهم النبل للرمي' كما لا يفوتنا أن نشير إلى أن للواقع الاجتماعي في الجزيرة العربية الأثر الأكبر في رسم منهج السياسات القائمة في تلك الجزيرة، حيث شكلت القبائل المنتشرة على أرضها والتي حكمتها الأعراف القبلية بكل قوانينها الغير مستقيمة في الكثير من ايدولوجياتها، فالقبيلة هي منشأ الحكم، وبيدها رسم السياسة ووضع القوانين، وإصدار الأوامر على المخالف، وتصحيح ما تراه مناسبا، أو تجريم من يخالف أوامرها، وكأنها الدولة المصغرة لكل أفرادها الذين ينتسبون إليها[٢].

وقد سرى هذا الأمر وساد حتى في حواضر الجزيرة العربية ومدنها التي تعتبر متقدمة ومتطورة في اغلب الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والسياسية على قبائل الجزيرة الأخرى.

---

(١) هو حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي، والد أبي سفيان وهو من قريش، وكنيته أبو عمرو، وهو من قضاة العرب في الجاهلية، ومن سادات قومه، وهو جدّ معاوية بن أبي سفيان بن حرب، كان معاصرا لعبد المطلب بن هاشم، شهد حرب الفجار، ومات بالشام، تقول العرب أن الجن قتلته بثأر حية! ؛ ينظر: الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي (ت:١٣٩٦ه) دار العلم للملايين، ط١٥ (٢٠٠٢م) ج١٧٢/٢.

(٢) ينظر: السيرة النبوية (من البداية والنهاية لابن كثير) أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت:٧٧٤هـ) تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع (بيروت/١٣٩٥هـ/١٩٧٦م) ج٢٥٥/١.

ولا بد لنا هنا من تسليط الضوء على الاوضاع السياسية فيما يأتي :

اولاً: القبيلة العربية.

ثانياً: مكة المكرمة.

ثالثاً: المدينة المنورة (يثرب).

رابعاً: الطائف.

اولاً: القبيلة العربية

ومن اجل أن تتضح صورة الحالة السياسية في الجزيرة العربية قبل الاسلام لابد لنا من تسليط الضوء ولو باختصار عن طبيعة القبائل العربية التي كانت سائدة في جزيرة العرب والتي كانت تشكل نواة الحالة السياسية للجزيرة العربية وعليه فقد اقتضت الحاجة الى إعطاء تفاصيل دقيقة عن تلك القبائل وما انضوت عليه من عادات وتقاليد وأعراف حكمت أبنائها بها سياسياً [١].

القبيلة العربية مجموعة من الناس، تربط بينها واحدة الدم (النسب)، وواحدة الجماعة، وفي ظل هذه الرابطة نشأ قانون عرفي ينظم العلاقة بين الفرد والجماعة، على أساس من التضامن بينهما في الحقوق والواجبات، وهذا القانون العرفي كانت تتمسك به القبيلة في نظامها السياسي والاجتماعي، والقبيلة لها رئيس يسمى (السيد) أو (الشيخ) وأحيانا يطلقون عليه الأمير، أو الملك، وهذا الرئيس إنما ترشحه للرياسة منزلته من القبيلة وصفاته، وخصائصه، من شجاعة، ومروءة، وكرم، ونحوها، فمن ثمّ لم تكن هذه الرئاسة وراثية، فقد تنتقل هذه الرئاسة إلى ابنه إذا كان كفئا وإلا فلابن أخيه، أو لغيره إذا لم يكن كذلك[٢].

ولرئيس القبيلة حقوق أدبية ومادية، فالأدبية أهمها احترامه وتبجيله، واحترام شخصه ورأيه، والاستجابة لأمره، والنزول على حكمه وقضائه، كما أنه له الإمارة العامة على الجند، وأما المادية فقد كان له (المرباع) وهو الربع في كل غنيمة،

(١) ينظر: السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة (ت: ١٤٠٣هـ) دار القلم، ط٨ (دمشق/١٤٢٧ه) ج١/٦٠.

(٢) ينظر: السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، ج١/٦٠.

و(الصفايا) وهي ما يصطفيه لنفسه من الغنيمة قبل القسمة، و(النشيطة) وهو ما أصيب من العدو قبل اللقاء و(الفضول) وهو ما لا يقبل القسمة من مال الغنيمة[١]، ولقد جمع الشاعر العربي ذلك بقوله :

لك المرباع فينا والصفايا وحكمك والنشيطة والفضول[٢]

(وهذه كلها حقوق الرياسة في الجاهلية)[٣]، (وعليه إزاء هذه الحقوق واجبات كثيرة، ومسؤوليات ضخمة، فهو في السلم جواد كريم، مسئول عن إكرام الضيوف، وقرى الوافدين، وعابري السبيل، وإغاثة المحتاج من أبناء القبيلة، وإجارة المستجير، وفي الحرب يتقدم الصفوف، ويعقد الصلح، والمعاهدات، وقصارى القول أنه رمز القبيلة، ولسانها الناطق، وعقلها المعبّر بمعونة العقلاء ذوي التجربة والسنّ من رجال القبيلة، وتسود الحريّة النظام القبلي، فقد نشأ العربي في جو طليق، وفي بيئة طليقة، فمن ثم كانت الحرية من أخص خصائص العرب، ويعشقونها، ويأبون الضيم والذل، وكل فرد في القبيلة ينتصر لها، ويشيد بمفاخرها، وأيامها، وينتصر لكل أفرادها محقا أو مبطلا)[٤]، والفرد في القبيلة تبع للجماعة، وقد بلغ من اعتزازهم برأي الجماعة أنه قد تذوب شخصيته في شخصيتها[٥]، ولقد كانت القيادة السياسية في النظام القبلي السائد في المجتمع العربي قبل الإسلام: هو ان شيخ القبيلة هو الحاكم الأعلى لقبيلته، وصاحب السلطان المطلق فيها، وكأن أوامره المستمدة من العرف القائم بينهم تقوم مقام القانون، وهذا النظام القبلي كان يدعو إلى التنافس بين القبائل على النفوذ المادي والأدبي، فكانت كل قبيلة تجتهد في أن تكمل نفسها وتبسط نفوذها ولو على أنقاض غيرها من القبائل، ومن هنا كانت تسود

---

(١) المصدر نفسه، ج١/٦٠.

(٢) ينظر: شرح ديوان الحماسة، أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي الأصفهاني (ت:٤٢١ه) تحقيق: غريد الشيخ، وضع فهارسه العامة: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط١ (بيروت/١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م) ٧١٨.

(٣) مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول ﷺ، أحمد إبراهيم الشريف، دار الفكر العربي، ٣٤.

(٤) السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، ج١/٦١.

(٥) المصدر نفسه، ج١/٦٠.

العداوة والبغضاء بين القبائل المختلفة وتثور الحروب وتنشب المعارك لأوهى الأسباب بينهم، ولكن كان أفراد القبيلة يتناصرون فيما بينهم. ويدافع كل فرد عن أخيه مهما نأى عن الحق وتشبث بالباطل(١).

ثم أن المظهر السياسي للقبيلة يظهر في الحرب أكثر من ظهوره في السلم، فالقبيلة تعيش متفرقة بأبنائها وحالتها الخاصة، إلى أن تدخل مع قبيلة أخرى في حرب، وهنا يتجلى المظهر السياسي، فإن عشائرها وبطونها تتجمع كلها تحت لواء واحد، كما تعمل على أن تجد لها حلفاء من القبائل الأخرى – من خلال اتصالات دبلوماسية واتفاقات – لتتقوى بهم على عدوها، لذلك كانت الحرب هي مظهر الحياة السياسية بين القبائل لما تتطلبه من جهود خاصة وتبعيات تجعل كل أفراد القبيلة يشعرون بحاجتهم إلى التجمع والتضامن كعمل مؤسساتي (٢).

ثانياً : مكة المكرمة

ان مكة التي تتوجه إليها أنظار أبناء قبائل الجزيرة لمكانتها الدينية المرموقة حيث بيت الله الحرام والسيادة الدينية التي اعقبها السيادة الدنيوية حتى ان العرب بقبائلهم نظرت اليهم نظرة تقدير واحترام، ويرونها قادة وسدنة المركز الديني، وكانت تلك الحكومة في الحقيقة خليطا من الصدارة الدنيوية والزعامة الدينية، حكمت بين العرب باسم الزعامة الدينية، وحكمت في الحرم وما والاه بصفتها حكومة تشرف على مصالح الوافدين إلى البيت، وتنفذ حكم شريعة إبراهيم، وكانت لها من الدوائر والتشكيلات ما يشابه دوائر البرلمان أعطت قريش لنفسها حقوقا مترتبة عن سكناها الحرم من قبيل الوظائف الإدارية الكبرى والدينية التي تتعلق بالحج أي قيادة المجتمع بصورة عامة (٣).

---

(١) ينظر: القول المبين في سيرة سيد المرسلين، محمد الطيب النجار (ت: ١٤١١هـ) دار الندوة الجديدة (بيروت) ٦١.

(٢) ينظر: مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول -ﷺ-، ٣٥.

(٣) ينظر: المجتمع الإسلامي وأصول الحكم، محمد الصادق عفيفي، دار الاعتصام، ط١ (القاهرة /١٤٠٠هـ/١٩٨٠م) ٣٤-٣٦ ؛ والرحيق المختوم، ٢٦.

ويلاحظ مما سبق ظهور ملامح سياسية انسانية في وضع حلف الفضول الذي أنشأه المكيون لنصرة الضعفاء والمظلومين إلا أن الجانب السلبي ضمن تلك التوجهات كان حاضرا أيضا في استئثار قريش بالمناصب الإدارية والدينية وما ترتب عليه من هيمنة مادية تمثلت بالاستثمارات التي حصل عليها رجالاتها في منطقة مثل الطائف على سبيل المثال، وهيمنة معنوية استمرت في ظلها النزعة المحافظة على ما ورثه أهل مكة عن آبائهم من عبادة وتقاليد وأعراف، ولكن هذه الحكومة مع ما كانت لها من مكانة بين القبائل المجاورة لها إلا أنها كانت ضعيفة لا تقدر على حمل العبء وحدها [١].

ومما تمتاز به حكومة مكة أيضا هو أن النظام السائد بينهم آنذاك هو النظام القبلي، فلم تنصهر الجماعة فيها في شعب واحد، وإنما ظلت القبائل وحدات متماسكة، إلا انه كان هناك صراع دائم من أجل السلطة داخل هذا المجتمع التجاري في مكة، وكانت المجموعات السياسية المشتركة في هذا الصراع مرتبطة بدورها بعلاقات مع القبائل العربية التي تمر بها قوافل مكة، وكذلك مع القوى العظمى التي كانت هذه القوافل تنقل البضائع إلى أسواقها[٢].

ثالثاً: المدينة المنورة (يثرب)

أول من سكنها العمالقة[٣]، ثم تغلبت عليهم بعض القبائل اليهودية، فأقاموا بها، خاصة في القرنين الأول والثاني الميلاديين، اثر الحروب التي شنها الرومان ضد

(١) ينظر: القول المبين في سيرة سيد المرسلين، ٦١ ؛ والرحيق المختوم، ٢٦.

(٢) ينظر: محمد ﷺ في مكة، المستشرق الإنجليزي ويليام مونتجمري وات، ترجمه إلى العربية: عبد الرحمن عبد الله الشيخ، راجعه وعلق عليه: الدكتور أحمد الشلبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة/١٤١٥ه)٥٣.

(٣) العمالقة: وهم ينسبون الى عمليق، ومنهم البربر وهم بنو ثميلا بن مارب بن فاران بن عمرو بن عمليق بن لوذ بن سام بن نوح، ويقال: إن عمليق أول من تكلم بالعربية حين ظعنوا من بابل ؛ ينظر: تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك) محمد بن جرير بن يزيد بن

اليهود بسوريا، فتفرقوا في البلاد، فلجأت قبائلهم الى يثرب، وأقاموا بها، وعندما تهدم سد مأرب [١] نزحت إليهم من بلاد اليمن قبائل الأوس والخزرج[٢].

عاش اليهود والأوس والخزرج في وئام فترة من الزمان، وتحالفوا على ان يحمي بعضهم بعضاً، وعندما قويت شوكت الأوس والخزرج تنمر اليهود عليهم ونقضوا ما كان بينهم من مواثيق والتزامات، فاستنجد العرب ببني عمومتهم الغساسنة، فأنجدوهم أنفة من تسلط اليهود عليهم[٣].

وكذلك عاش الأوس والخزرج في وئام في بداية أمرهم، ثم وقعت بينهم حروب طويلة، كان النصر في اغلب الأحيان للخزرج، ولهذا حاولت الأوس محالفة قريش ضد الخزرج، فلم تفلح، فلجئوا إلى الحلف مع اليهود الذين سكنوا يثرب، وسمعت الخزرج بهذا فأرسلت تستوضح الموقف، فأخبرتهم يهود بأنها لا ترغب في الحرب،

كثير بن غالب الآملي أبو جعفر الطبري (ت:٣١٠ه) دار التراث، ط٢ (بيروت/١٣٨٧ه) ج١/٢٠٧.

(١) وهو سُّد من بناء سبإ بن يشجب بن يعرب وكان سافله سبعين واديا ومات قبل أن يستتمّه فأتمته ملوك حمير بعده، ويقع بين ثلاثة جبال يصب ماء السيل إلى موضع واحد وليس لذلك الماء الا مخرج واحد فكان الأوائل قد سدوا ذلك المخرج بالحجارة الصلبة والرصاص فيجتمع فيه ماء عيون هناك مع ما يغيض من مياه السيول فيصير خلف السد كالبحر فكانوا إذا أرادوا سقي زروعهم فتحوا من ذلك السدّ بقدر حاجتهم بأبواب محكمة وحركات مهندسة فيسقون حسب حاجتهم ثم يسدّونه إذا أرادوا ؛ ينظر: معجم البلدان، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت:٦٢٦ه) دار صادر، ط٢ (بيروت/١٩٩٥م) ج٥/٣٤-٣٥.

(٢) ينظر: إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، أحمد بن علي بن عبد القادر أبو العباس الحسيني ألعبيدي تقي الدين المقريزي (ت:٨٤٥ه) تحقيق: محمد عبد الحميد النميسي، دار الكتب العلمية، ط١ (بيروت/١٤٢٠ه/١٩٩٩م) ج٩/١٧٢ ؛ والأغاني، أبو الفرج الأصبهاني، تحقيق: سمير جابر، دار الفكر، ط٢ (بيروت) ج٢٢/١١١-١١٥.

(٣) ينظر: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي ثم القاهري (ت:٨٢١ه) دار الكتب العلمية (بيروت) ج٤/٢٩٨.

فأرادت الخزرج ان تتأكد من هذا فطلبت منهم أربعين غلاما، ليتخذوهم رهائن لديهم، وعندما استجابوا لهم، خيروهم بين الجلاء عن يثرب أو قتل الغلمان، فآثروا الخروج من ديارهم، غير ان كعب بن أسد القرظي[١] أقنعهم بالبقاء والتضحية بالرهائن، فقتل الخزرج الغلمان، فغضب يهود وجاهروا بحلفهم مع الأوس، ووقفوا معهم في موقعة بعاث[٢]، فانتصر الأوس بعد ان أوقعوا في الخزرج مقتلة عظيمة، ثم تصالح الفريقان واتفقا على إقامة حكومة تعمل على استقرار الأمور بيثرب، برئاسة عبد الله ابن أبي بن سلول[٣]، وقد كان من كبار الخزرج[١].

(١) هو كعب بن أسد بن سعيد القرظي اليهودي، سيد بني قريظة، وصاحب عقدهم وعهدهم، وكان وادع رسول الله -ﷺ- على قومه وعاقده ثم نقض العهد وفسخ العقد، عرض على قومه في غزوة بني قريظة إحدى ثلاث إمّا: الإسلام، وإما تبييت النبي -ﷺ- ليلة السبت ليكون المسلمين آمنين منهم ثم الانقضاض عليهم، وإما قتل الذراري والنساء ثم الاستماتة، فأبوا كل ذلك ؛ ينظر: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، عبد الرحمن بن محمد بن محمد ابن خلدون أبو زيد ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (ت:٨٠٨هـ) تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، ط٢ (بيروت/ ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م) ج٢/٤٤٣؛ وسمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي المكي (ت:١١١١هـ) تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، ط١ (بيروت/١٤١٩هـ/١٩٩٨م) ج٢/١٩٣.

(٢) كانت وقعة بعاث بين الأوس والخزرج وهي وقعة عظيمة قتل فيها خلق من أشراف الأوس والخزرج وكبرائهم، ولم يبق من شيوخهم إلا القليل؛ ينظر: البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت:٧٧٤هـ) تحقيق:علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط١ (١٤٠٨هـ/١٩٨٨م) ج٣/١٨١.

(٣) عبد الله بن أبى ابن سلول يكنى أبا الحباب، بابنه الحباب، وكان رأس المنافقين، وممن تولى كبر الإفك في عائشة -رضي الله عنها- وسلول امرأة من خزاعة هي أم أبي بن مالك، ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت:٤٦٣هـ) تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، ط١ (بيروت/١٤١٢هـ/١٩٩٢م) ج٣/ ٩٤٠.

وبينما كانوا يستعدون لذلك قدم الرسول -ﷺ- المدينة مهاجراً، فدان الجميع لسلطان الإسلام، ولم يجد ابن أبي سلول الخزرجي بداً من الدخول في الإسلام ظاهرا بعد موقعة بدر، ودلت مواقفه بعد ذلك على نفاقه كما سيأتي في الفصل الأول من البحث إن شاء الله، وهو ممن اتفق على نفاقه بين أهل الحديث والتفسير والمغازي والسير، أما زعيم الأوس أبو عامر بن صيفي بن النعمان[٢] فقد أبى إلا الكفر فخرج إلى مكة، ثم إلى الطائف، ثم إلى الروم بالشام، محاولا في كل أطوار حياته القضاء على الإسلام، وكان قد ترهب في الجاهلية، فسموه الراهب[٣]، فقال رسول الله -ﷺ- (لا تقولوا الراهب، ولكن قولوا الفاسق)[٤].

---

(١) ينظر: وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، علي بن عبد الله بن أحمد الحسني الشافعي نور الدين أبو الحسن السمهودي (ت:٩١١ه) دار الكتب العلمية، ط١ (بيروت/١٤١٩ه) ج١/١٧٠-١٧٢.

(٢) هو أبو عامر بن صيفي بن النعمان بن مالك بن أمية بن ضبيعة الأنصاري وابنه حنظلة غسيل الملائكة، ينظر: تاريخ دمشق، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (ت:٥٧١ه) تحقيق: عمرو ابن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (١٤١٥ه/١٩٩٥م) ج٢٧/٤٢٥.

(٣) ينظر: إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، ج١٤/٣٦١ ؛ وسبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد، محمد بن يوسف ألصالحي الشامي (ت: ٩٤٢هـ) تحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود و علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، ط١ (بيروت/١٤١٤هـ/ ١٩٩٣ م) ج٣/٣٦٦ ؛ والمفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الدكتور جواد علي (ت: ١٤٠٨ه) دار الساقي، ط٤ (١٤٢٢ه/٢٠٠١م).

(٤) السيرة النبوية لابن هشام، ج١/٥٨٥ ؛ وعيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، محمد بن محمد بن محمد بن أحمد ابن سيد الناس اليعمري الربعي أبو الفتح فتح الدين (ت:٧٣٤ه) تعليق: إبراهيم محمد رمضان، دار القلم، ط١ (بيروت/١٤١٤ه/١٩٩٣م) ج١/٢٥٥.

رابعاً: الطائف

كانت الطائف تعرف باسم (وج) نسبة إلى وج بن عبد الحي احد العمالقة الذين سكنوها، رحلت إليها قبيلة هوازن من وادي القرى، وتزوج زعيمها قسب بن منبه بن بكر بن هوازن بـــابنة زعيم وج عامر العدواني، واشتهر قسب باسم ثقيف فيما بعد، وعندما تكاثروا بنوا سورا يكون لهم حصناً، وأطلقوا عليه الطائف، لاطافته بهم، ومن ثم عرفت هذه المدينة بالطائف بدلاً من وج [١].

وعندما ظهر الإسلام كانت ثقيف تنقسم إلى فرقتين :

الفرقة الأولى هم بنوا مالك؛ والفرقة الثانية الأحلاف، وكانت بينهم شحنات أدت إلى حرب بينهما، انتصر فيها الأحلاف واخرجوا بني مالك إلى واد وراء الطائف، ثم رأى بنوا مالك ان يعززوا موقفهم العسكري بالتحالف مع بعض القبائل، فحالفوا دوساً وخثعماً وغيرهما على الأحلاف، ولكن لم تقع بينهم بعد ذلك حروب ذات بال[٢].

المبحث الثاني

اساليب مشركين مكة في معارضتهم السياسية للنبي ﷺ

واجه النبي -ﷺ- معارضات شديدة متعددة الأصناف والأشكال والأسباب ومن فئات وأقوام كثيرة من بداية مبعثه بالرسالة إلى حين وفاته -ﷺ-، وقد كان للمشركين مكة الدور البارز في المعارضة السياسية للنبي -ﷺ- وقد تعددت اساليب وأصناف المشركين وصور معارضتهم، وهذا ما سأبحثه في المبحث الآتي :

المطلب الأول: الاستهزاء والسخرية.

المطلب الثاني: الإيذاء.

المطلب الثالث: العزلة والمقاطعة.

---

(١) ينظر: معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي (ت:٤٨٧هـ) عالم الكتب، ط٣ (بيروت/١٤٠٣هـ) ج١/٦٦-٦٧ ؛ ومعجم البلدان، ج٤/٩.

(٢) ينظر: الكامل في التاريخ، ج١/٦٠٤-٦٠٦.

المطلب الرابع : محاولات اغتيال.

المطلب الخامس : المساومات والمفاوضات.

المطلب الأول

الاستهزاء والسخرية

واجه المشركون الرسول -ﷺ- بالسخرية والاستهزاء والضحك والغمز واللمز والتعالي عليه -ﷺ- وعلى المؤمنين، يقول الله -ﷻ- عن سخريتهم من الذين آمنوا: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾[1]، وقال: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا﴾[2]، ومن ذلك ما رواه مسلم (اشتكى رسول الله -ﷺ- فلم يقم ليلتين أو ثلاثا، فجاءته امرأة، فقالت: يا محمد، إني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك، لم أره قربك منذ ليلتين أو ثلاث[3]، فأنزل الله -ﷻ-: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾[4]، ومر الرسول ﷺ يوما بجماعة من زعماء قريش فهمزوه واستهزؤوا به، فغاظه ذلك[5]، فأنزل الله -ﷻ-:﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾[6]، كما كان المشركون يتواصون بينهم بافتعال ضجة

---

(١) سورة الأنعام: الآية ٥٣. ينظر: الكامل في التاريخ، ج١/٦٠٤-٦٠٦.

(٢) سورة الفرقان : الآية ٤١.

(٣) أخرجه مسلم في المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله -ﷺ-، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت:٢٦١ه) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي (بيروت) كتاب الجهاد والسير، باب مالقي النبي -ﷺ- من اذى المشركين والمنافقين، رقم الحديث: (١٧٩٧) ج٣/١٤٢٢.

(٤) سورة الضحى: الآيات ١-٣.

(٥) ينظر: السيرة النبوية لابن هشام، ج١/٣٩٥-٣٩٦.

(٦) سورة الأنعام: الآية ١٠.

عالية وصياح منكر وتصفير عند ما يقرأ القرآن، حتى لا يسمع فيفهم فيترك أثرا في عقل نقي وقلب طيب(١).

وفـــي ذلك قال الله -ﷻ-: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾(٢).

وكذلك مما لاقاه النبي ﷺ من استهزائهم وسخريتهم به واستصغارهم له والحط من شأنه -ﷺ- كان إذا مر بالقرب من مجالسهم يقولون ساخرين (هذا ابن عبد المطلب يكلم من السماء)(٣).

إنها صورة في غاية القبح والشناعة أن يسخر الوضيع من الرفيع، والسفيه من العاقل الرشيد الحكيم، والغبي من الذكي، والأحمق من الألمعي(٤).

ومن ذلك أيضا ما ترويه لنا كتب السيرة النبوية، أن النضر بن الحارث(٥) كان يتعقب الرسول -ﷺ- في مجالسه التي يدعو فيها إلى الله ويحذر المشركين مما

---

(١) ينظر: زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت:٥٩٧هـ) تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، ط١ (بيروت١٤٢٢) ج٤/٥٠.

(٢) سورة فصلت: الآية ٢٦.

(٣) ينظر: جمل من انساب الأشراف، ج١/١١٥ ؛ وشرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، أبو عبد الله محمد بن عبد الباقي بن يوسف بن أحمد بن شهاب الدين بن محمد الزرقاني المالكي (ت:١١٢٢هـ) دار الكتب العلمية، ط١ (١٤١٧هـ/١٩٩٦م) ج١/٤٦٢.

(٤) السيرة النبوية (دراسة تحليلية) محمد عبد القادر ابو فارس، دار الفرقان، ط١ (الاردن/١٤١٨هـ/١٩٩٧م) ١٦٤.

(٥) النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة، بفتح الكاف، ابن عبد مناف بن عبد الدار بن قصى القريشي العبدري، كان من كفار قريش، شديد العداوة لرسول الله -ﷺ-، أُسر يوم بدر، وقُتل كافرا، قتله على بن أبى طالب -رضي الله عنه- بأمر رسول الله -ﷺ- ؛ ينظر: الاشتقاق، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت:٣٢١هـ) تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، ط١ (بيروت/١٤١١هـ/١٩٩١م) ١٦٠؛ وتهذيب الأسماء واللغات، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت:٦٧٦هـ) عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق

وقع على الأمم السابقة من العقاب والعذاب، كان النضر يخلفه ويحدثهم عن رستم وملوك الفرس، ثم يقول: (والله ما محمد بأحسن حديثاً مني وما حديثه إلا أساطير الأولين اكتتبها كما اكتتبتها)[١]، فانزل الله -ﷻ- فيه: ﴿ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ﴾ [٢].

كذلك كان الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى[٣]، كان هو وأصحابه يتغامزون ويستهزئون ويسخرون من النبي -ﷺ- ومن أصحابه المؤمنين ويقولون ساخرين: (قد جاءكم ملوك الأرض ومن يغلب على كنوز كسرى وقيصر ثم يمكون ويصفرون)[٤] أي يضعون أصابعهم في أفواههم وينفخون فيها.

عليه ومقابلة أصوله: شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية، دار الكتب العلمية (بيروت) ج١٢٦/٢.

(١) ينظر: السيرة النبوية لابن هشام،ج٣٥٨/١ ؛ ودلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، أحمد بن الحسين ابن علي بن موسى الخسروجردي الخراساني أبو بكر البيهقي (ت:٤٥٨هـ) دار الكتب العلمية، ط١ (بيروت/١٤٠٥هـ) ج٣٢١/١.

(٢) سورة الفرقان : الآية ٥.

(٣) الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشي الأسدي، كنيته ابا زمعمة، وهو أحد المستهزءين الذين قال الله -ﷻ- فيهم : ﴿ إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ ﴾، وكان رسول الله ﷺ قد دعا عليه لما كان يبلغه من أذاه واستهزائه به، فقال: اللهم أعم بصره، وأثكله ولده، فقتل ثلاثة من ابنائه في معركة بدر، فكان قد كمد على من قتل وقد بكى عليهم حتى ذهب بصره؛ ينظر: المغازي، محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء المدني أبو عبد الله الواقدي (ت:٢٠٧هـ) تحقيق: مارسدن جونس، دار الأعلمي، ط٣ (بيروت/ ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م) ج١٢٢/١-١٢٣؛ والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج٩١١/٣.

(٤) ينظر: جمل من انساب الأشراف، ج١٤٨/١.

المطلب الثاني

الإيذاء

مما لاشك فيه أن أسلوب الإيذاء والاعتداء من أساليب المعارضة الغير شريفة بل إن هذا الأسلوب يعتبر من أخبث أساليب المعارضة، ولقد تعرض النبي -ﷺ- إلى مواقف شتى من الإيذاء والتعذيب وفي ذلك يقول الله -ﷻ-:﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾(١).

فكلما قضت الإرادة الإلهية بأن توحي إلى عصبة من الأبرار أن يكونوا حملة مشاعل الحق لهداية الإنسانية المتفسخة برزت بالضرورة عصبة من أولئك الذين يعقدون العزم على مقاومتهم حتى الموت، وإنزال ضروب البلاء والتعذيب فيهم، والاضطهادات التي يخضع لها حملة مشاعل الحق إنما تكون بمثابة امتحان حاسم لصدق أفعالهم، إنهم يصبرون على الاهانات، ويتحملون المحن وضروب البلاء في ابتهاج وبشر، ولكنهم لا يتخلّون لحظة واحدة عن الحق الذي يمثّلون(٢).

والواقع أنهم يعيشون- إذا استطاعوا- للحق، ويموتون- إذا تعيّن عليهم ذلك- في سبيل الحق، وإلى هذا فالمحن هي حقل الاختبار الوحيد لتنمية فضائل الثبات والمثابرة التي بدونها لا يستطيع الإنسان بلوغ الكمال الخلقي. فما لم تحدق بالمرء من أقطاره جميعا عقبات غامرة، وما لم يبتل بضروب الشدائد المبرّحة، فأنه لن يقوى على التخلّق بهاتين السجيّتين. ومن هنا، فأن البلايا التي تصيب أمثال هؤلاء الناس هي، في الواقع، نعم مقنّعة، مقصود بها أن تفضي إلى تهذيبهم الخلقي. وهناك، فوق هذا وذاك، هدف ثالث مراد، ذلك بأن الله الكلّي القدرة يريد أن يوقع في نفوس البشر أن النبتة التي تتعهدها اليد الإلهية، مهما بدت هزيلة، قادرة على أن

---

(١) سورة العنكبوت: الآية ٢.

(٢) ينظر: حياة محمد ورسالته، محمد علي اللاهوري القادياني (ت:١٩٥١م) ترجمه إلى الإنجليزية: محمد يعقوب خان، ترجمه إلى العربية: منير بعلبكي (ت:١٤٢٠هـ) دار العلم للملايين، ط٢ (بيروت/١٣٩٠هـ) ٨٤.

تصمد في وجه أشرس هبّات الريح المعادية. ووفقا لهذا الناموس الإلهي، تعيّن على الرسول وصحابته أن يقاسوا على أيدي المشركين محنا لا تعدّ ولا تحصى[١].

(فلما مات أبو طالب نالت قريش من رسول الله ﷺ من الأذى ما لم تكن تطمع فيه في حياة أبي طالب، حتى ان النبي -ﷺ- يقول في ذلك: (ما نالت مني قريش شيئا أكرهه حتى مات أبو طالب)[٢] ففي يوم من تلك الأيام العصيبة اعترضه احد سفهاء قريش فنثر على رأسه ترابا، فدخل رسول الله -ﷺ- بيته، والتراب على رأسه، فقامت إليه إحدى بناته فجعلت تزيل عنه التراب وهي تبكي، ورسول الله ﷺ يقول لها: (لا تبكي يا بنية، فإن الله مانع أباك)[٣].

وبعد ان كاد يصيب النبي ﷺ الجزع واليأس من مشركي قريش قرر النبي ﷺ ان يخرج إلى الطائف التي تسكنها ثقيف وهي أهم قبائل العرب بعد قريش[٤]، لعله يجد فيهم من يؤمن بدعوته وينصره ويؤازره، ولكن -ويا للأسف- لم يجد منهم إلا الجحود والإعراض، والتعنت والإيذاء والاعتداء حتى وصل بهم الطغيان إلى ان أغروا به عبيدهم وسفهاءهم يسبونه ويصيحون وراءه ويقذفونه بالحجارة، حتى إن رجليه لتدميان[٥]، (فلما ابتعد عن الطائف قليلا استظل بشجرة فصلى ركعتين ثم قال: (اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس أرحم الراحمين، أنت أرحم الراحمين، إلى من تكلني؟، إلى عدو يتجهمني، أم إلى قريب ملكته أمري، إن لم تكن غضبانا علي، فلا أبالي، إن عافيتك أوسع لي، أعوذ بنور

(١) المصدر نفسه، ٨٤.

(٢) دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، ج٢/٣٥٠ ؛ والرقة والبكاء لابن قدامة، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي الشهير بابن قدامة المقدسي (ت:٦٢٠هـ) تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، دار القلم، ط١ (دمشق/١٤١٥هـ/١٩٩٤م) رقم الحديث: (١٤) ١١٣.

(٣) الرقة والبكاء لابن قدامة، رقم الحديث: (١٤) ١١٣ ؛ والخصائص الكبرى، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (ت:٩١١هـ) دار الكتب العلمية (بيروت) ج١/١٤٨.

(٤) ينظر: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٧/١٤٤.

(٥) ينظر: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ج٣/١٢.

وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن تنزل بي غضبك، أو تحل علي سخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك)[١]، ألا ليت كان ثمة في بعض الصدور البشرية قلب رقيق لكي يدرك صفاء الروح التي أطلقت العنان لمشاعر في مثل هذا السموّ كله، وسط ظروف في مثل هذه القسوة كلها! وهل يتصور العقل ان في ميسور قائد من القادة أو زعيم من الزعماء أو الرؤساء ان يصدر قلبه عن هذه الأحاسيس النبيلة إلى هذا الحدّ، وبخاصة حين يعبّر عنها بعد معاناة هذا البلاء العظيم مباشرة ؟ يا للهدوء الأعجوبي الذي احتمل به كل هذه المشاق التي لا يطيقها ابن إنسان على وجه الأرض البتة! أجل، لقد احتمل، بثبات مذهل، جميع تلك المصاعب التي كان خليقا بها ان تغري أيما امرئ آخر بالانتحار، أو الانسحاب أو الهروب من ميدان الدعوة، أيّ إيمان راسخ بالله كان إيمانه، وأي إذعان بهيج للمشيئة الإلهية كان إذعانه، وأيّ سعادة روحية محضة كانت سعادته! إن هذه كلها، كذلك قال، لم تكن شيئا مذكورا ما دام يتمتّع برضا الله وارتياحه[٢].

هذا بعض إيذاء النبي ﷺ من المشركين، واستهزاءهم إذا سار أو تكلم، فهل كان ذلك سببه أن محمدا ﷺ لم يكن المهيب، وأنه كان الهزيل الذي يجترأ عليه ؟.

والجواب عن ذلك أن محمدا -ﷺ- كان المهيب في شخصه، والقوى في ذات نفسه، والذي آتاه الله تعالى القوة الإنسانية الكاملة، فهو المرهوب المحبوب الذي لم يرد أن يكون مرهوبا، وإن أراد الرهبة كانت، والله -ﷻ- يعصمه من الناس، ولكن

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي أبو القاسم الطبراني (ت:٣٦٠هـ) تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، ط٢ (القاهرة) ما انتهى إلينا من مسند عبد الله بن جعفر، رقم الحديث: (١٨١) ج٧٣/١٣؛ والأصبهاني في الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي الأصبهاني أبو القاسم الملقب بقوام السنة (ت:٥٣٥هـ) تحقيق: محمد بن ربيع بن هادي عمير المدخلي، دار الراية، ط٢ (الرياض /١٤١٩ه /١٩٩٩م) رقم الحديث: (٤٦٢) ج٤٧٣/٢، قال الشيخ الألباني: (حديث ضعيف).

(٢) ينظر: حياة محمد ورسالته، ١٠٧.

الحمقى والسفهاء يغرون بالكرماء، وكان محمد -ﷺ- كريما، ولم يرد أن يكون مخوفا مفزعا، بل أراد أن يكون أليفا قريبا دانيا، ليستطيع أن يتألف الناس ولا يرهبهم(١).

المطلب الثالث

العزلة والمقاطعة

حين رأت قريش ان عدد الداخلين في الإسلام بدأ يزداد، وان هنالك خطر قادم يهدد سيادتهم وسلطانهم وملكهم على البلاد والعباد،وان وسائلها وأساليبها التي استعملوها ضد دعوة النبي -ﷺ- لم تجد نفعاً، بدأت بإعادة النظر في تلك الأساليب والوسائل، فاتخذت أسلوبا آخر، أقسى واشمل من الأساليب السابقة، وهو أسلوب المقاطعة العامة، وهي وسيلة من وسائل الاستبداد السياسي والعزلة، للانفراد بالسلطة والقرار.

وكان أكبر ظنهم أن هذه السياسة السلبيّة، وسياسة التجويع والمقاطعة ستكون أعظم أثرا من سياسة الأذى والإعتداء، وهم يرجون من خلال هذه السياسة أن تصل بالرسول ﷺ إلى اعتزال قومه إياه، فيعود وحيدا ولا يبقى له ولا لدعوته من خطر(٢).

لجأت قريش إلى هذا الأسلوب الخبيث لما رأت المسلمون قد نزلوا أرضا أصابوا بها أمنا، وان الإسلام فشا في القبائل، اجمعوا على ان يقتلوا رسول الله ﷺ، فبلغ ذلك أبا طالب، فجمع بني هاشم وبني المطلب، فادخلوا رسول الله ﷺ شعبهم ومنعوه ممن أراد قتله، فأجابوه إلى ذلك حتى كفارهم فعلوا ذلك حمية على عادة الجاهلية، فلما رأى المشركون في مكة ذلك اجتمعوا وائتمروا بينهم ان يكتبوا كتابا يتعاقدون فيه على بني هاشم وبني المطلب، ينص على مقاطعتهم، وعدم التعامل معهم مطلقا، وعلى ألا يجالسونهم، ولا يبيعونهم، ولا يشترون منهم، ولا يدخلون

(١) ينظر: خاتم النبيين ﷺ، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (ت:١٣٩٤ه) دار الفكر العربي (القاهرة/١٤٢٥ه) ج١/٣٥٦.

(٢) ينظر: حياة محمد ﷺ، ١١٦.

بيوتهم، ولا يكلمونهم، ولا يتزوجون منهم، ولا يزوجوهم، حتى يسلموا إليهم رسول الله ﷺ، ففعلوا ذلك وعلقوا الصحيفة في جوف الكعبة، وكان كاتبها منصور بن عكرمة[١] الذي دعا عليه الرسول ﷺ فشلت إصبعه ويقال: النضر بن الحارث[٢]، فانحازت بنو هاشم وبنو المطلب إلى أبي طالب، فكانوا معهم كلهم إلا أبا لهب، فكان مع قريش، فظلوا في العزلة في شعب أبي طالب سنتين[٣] وقيل ثلاثة[٤]، حتى جهدوا وتعبوا وكان يسمع أصوات نسائهم وأبنائهم يتضاغون من وراء الشِّعب من الجوع[٥]، قال السهيلي: (وفي الصحيح أنهم جهدوا حتى كانوا يأكلون الخبط وورق السمر حتى إن أحدهم ليضع كما تضع الشاة، وكان فيهم سعد بن أبي وقاص[٦]، وقد

(١) هو منصور بن عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي، وهو الذي كتب صحيفة المقاطعة الظالمة ضد بني هاشم وبني المطلب، وهو الذي شلت يده بعد ذلك حتى يبست، فما كان ينتفع بها، وكانت قريش تقول بينها: (إن الذي صنعنا إلى بني هاشم لظلم أنظروا ما أصاب منصور بن عكرمة) ؛ ينظر: الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، ج١٧٤/٣ ؛ والسيرة النبوية (من البداية والنهاية لابن كثير) ج٤٨/٢ ؛ والخصائص الكبرى، ج٢٥٢/١.

(٢) ينظر: السيرة النبوية لابن هشام، ج٣٥٠/١ ؛ وفتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، دار المعرفة (بيروت/١٣٧٩ه) ج١٩٢/٧.

(٣) ينظر: الطبقات الكبرى، ج١٦٤/١.

(٤) ينظر: الفصول في السيرة، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت:٧٧٤ه) تحقيق وتعليق: محمد العيد الخطراوي و محيي الدين مستو، مؤسسة علوم القرآن، ط٣ (١٤٠٣ه) ١٠٣ ؛ وإمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، ج٤٤/١.

(٥) ينظر: مختصر سيرة الرسول -ﷺ-، ٩٦.

(٦) هو الصحابي الجليل سعد بن أبي وقاص، واسم أبي وقاص مالك بن وهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة ويكنى أبا إسحاق شهد بدرا وأحدا والمشاهد كلها وولي الولايات من قبل عمر، وعثمان، وهو أحد أصحاب الشورى، أسلم وما في وجهه شعرة، وهو ابن سبع عشرة سنة، وكان آخر المهاجرين وفاة وأول من رمى بسهم في سبيل الله، توفي وهو

روي أنه قال لقد جعت، حتى إني وطئت ذات ليلة على شيء رطب فوضعته في فمي وبلعته، وما أدري ما هو إلى الآن وفي رواية يونس أن سعدا قال خرجت ذات ليلة لأبول فسمعت قعقعة تحت البول فإذا قطعة من جلد بعير يابسة فأخذتها وغسلتها، ثم أحرقتها ثم رضضتها، وسففتها بالماء فقويت بها ثلاثا)[١].

ومن هنا يتبين لنا مدى تأثير الحصار على المسلمين، وكيف أضناهم الحرمان، وألجأهم أن يأكلوا ما لا مساغ له؟!. وقد أحزنت تلك الآلام بعض ذوي الرحمة من المشركين[٢]، حتى بدأوا ينقسمون على أنفسهم، ويتساءلون عن صواب ما فعلوا، وبدأ فريق منهم يعمل على إبطال هذه المقاطعة الظالمة، ونقض الصحيفة التي تضمنتها، وكان أول من بدأ بهذا الأمر الحسن، هشام بن عمرو بن الحارث[٣]

ابن ثلاث وثمانين سنة في أيام معاوية -رضي الله عنه- في قصره بالعقيق من المدينة على عشرة أميال، فحمل على رقاب الرجال حتى صلي عليه في مسجد الرسول- ﷺ-بالمدينة، صلى عليه مروان وهو يومئذ والي المدينة، ثم صلى عليه أزواج النبي -ﷺ-في حجرهن ؛ ينظر الطبقات الكبرى، ج١٠١/٣ ؛ ومعجم الصحابة، أبو الحسين عبد الباقي بن قانع بن مرزوق بن واثق الأموي بالولاء البغدادي (ت: ٣٥١هـ)، تحقيق: صلاح بن سالم المصراتي، مكتبة الغرباء الأثرية، ط١ (المدينة المنورة/١٤١٨هـ) ج٢٤٧/١ ؛ ومعرفة الصحابة، ج١٣٠/١.

(١) ينظر: الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، ج٢١٦/٣.

(٢) ينظر: فقه السيرة، ١٢٨.

(٣) هشام بن عمرو بن الحارث، بن حبيب، بن نصر، بن مالك، بن حسل، بن عامر، بن لؤي، وكان ذا شرف في قومه، وكان هشام هذا لبني هاشم واصلا أثناء القطيعة الظالمة، اذ كان يأتي ليلا بالبعير قد أوقره طعاما وبنو هاشم وبنو المطلب بالشّعب حتى إذا أقبله فم الشّعب قلع خطامه من رأسه ثم ضرب على جنبه فيدخل عليهم الشعب، ويأتي بالبعير وقد أوقره برّا فيفعل مثل ذلك، وكان هو أول من مشى في نقض الصحيفة، ولم يبل أحد في نقضها أحسن من بلاءه، وقد اسلم بعد ذلك. ؛ ينظر: الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء، سليمان بن موسى بن سالم بن حسان الكلاعي الحميري أبو الربيع (ت:٦٣٤هـ) دار الكتب العلمية، ط١ (بيروت/١٤٢٠هـ) ج٢٢١/١ ؛ وسبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد،

وزهير بن أبي أمية[١]والمطعم بن عدي[٢] وزمعة بن الأسود[٣]وأبو البختري بن

ج٢/٤١٣ ؛ والسيرة الحلبية (إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون) علي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي أبو الفرج نور الدين ابن برهان الدين (ت:١٠٤٤هـ) دار الكتب العلمية، ط٢ (بيروت/١٤٢٧هـ) ج١/٤٨٦.

(١) زهير بن أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم المخزومي أخو أم سلمة أم المؤمنين ذكر في المؤلفة قلوبهم، وكان ممن قام في نقض الصحيفة، أسلم وحسن إسلامه ؛ ينظر: سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي) محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء المدني (ت:١٥١هـ) تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر، ط١ (بيروت/١٣٩٨هـ/١٩٧٨م) ١٦٥-١٦٦؛ ودلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، ج٥/٨٠ ؛ وتاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس، حسين بن محمد بن الحسن الديار بكري (ت:٩٦٦هـ) دار صادر (بيروت) ج١/١٧٠ ؛ والجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة، محمد بن أبي بكر بن عبد الله بن موسى الأنصاري التلمساني المعروف بالبري (ت: بعد ٦٤٥هـ) تنقيح وتعليق: محمد التونجي، دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع، ط١ (الرياض/١٤٠٣هـ/١٩٨٣م) ج٢/٦٥.

(٢) المطِعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف بن قصي القرشي النوفلي، كان شريفاً ذا صيت في قريش، وكان حسن البلاء في أمر الصحيفة التي كتبتها قريش على بني هاشم، ومدحه حسّان بن ثابت لهذا الشأن، فقال: (فلو أنّ مجداً خلَّد الدهرَ واحداً... من الناس أبقى مجدُه اليومَ مطعِما) وهو الذي كان قد أجار رسول الله -ﷺ- حين قدم من الطائف من دعاء ثقيف، قال النبي -ﷺ- لابنه جبير حينما جاءه يكلمه في فداء اسرى بدر: (لو كان مطعم بن عدي حيا، ثم كلمني في هؤلاء النتنى لأطلقتهم له) وكانت وفاة المطعم بن عدي في صفر سنة ثنتين من الهجرة قبل بدر بنحو سبعة أشهر ؛ ينظر: الاشتقاق، ٢٣٣.

(٣) زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشي، وكان يقال له (زاد الرَّكب) معنى هذا انه كان إذا سافر معه أحد كان زاده عليه، وكان زمعة أحد المطعمين يوم بدر مع المشركين وقتل يومئذ كافرا ؛ ينظر: الاشتقاق، ٩٤ ؛ والثقات، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد التميمي أبو حاتم الدارمي البستي (ت:٣٥٤هـ) مراقب الطبع: محمد عبد المعيد خان، مدير دائرة المعارف العثمانية، دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد، ط١ (الهند/١٣٩٣هـ/١٩٧٣م) ج٣/٢١٧.

هشام بن الحارث[١]، وكانت تربطهم ببني هاشم والمطلب صلاة الأرحام[٢]، واتفقوا على ضرورة تمزيق الصحيفة وإنهاء المقاطعة، واتفق الرجال الخمسة على اللقاء ليلا بأعلى مكة وهناك أجمعوا أمرهم وتعاقدوا على القيام بتمزيق الصحيفة الظالمة وقال زهير: (أنا أبدؤكم فأكون أول من يتكلم)، فلما أصبحوا غدا إلى أنديتهم، وغدا زهير ابن أبي أمية عليه حلّة، فطاف بالبيت سبعا، ثم أقبل على الناس فقال: (أنأكل الطعام، ونلبس الثياب، وبنو هاشم هلكى لا يبتاعون، ولا يبتاع منهم، والله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة)، فقال أبو جهل: (كذبت والله لا تشق)،

(١) أبو البختري: هو العاص بن هاشم بن الحارث بن أسد بن عبد العزى بن قصي، وهو الذي ضرب أبا جهل بلحى بعير فشجه حين أراد أن يمنع ابن أخي السيدة خديجة من الوصول إليها، وهي مع النبي -ﷺ- في الشعب، وكان يحمل قمحا يريد به عمته لذلك قيل إنه كان أكف القوم عن رسول الله -ﷺ- وكان لا يؤذي النبي -ﷺ- ولا يبلغه عنه شيء يكرهه، وهو الذي قال عنه الرسول -ﷺ- في معركة بدر: (إني قد عرفت أن رجالا من بني هاشم وغيرهم قد أخرجوا كرها، لا حاجة لهم بقتالنا، فمن لقي منكم أحدا من بني هاشم فلا يقتله، ومن لقي أبا البختري بن هشام بن الحارث ابن أسد فلا يقتله...) فلقيه المجذر بن ذياد البلوي، حليف الأنصار، فقال المجذر لأبي البختري: (إن رسول الله -ﷺ- قد نهانا عن قتلك) ومع أبي البختري زميل له، قد خرج معه من مكة، وهو جنادة بن مليحة، قال: (وزميلي)؟، فقال له المجذر: (لا والله، ما نحن بتاركي زميلك، ما أمرنا رسول الله -ﷺ- إلا بك وحدك، فقال: (لا والله، إذن لأموتن أنا وهو جميعا، لا تتحدث عني نساء مكة أني تركت زميلي حرصا على الحياة) فاقتتلا، فقتله المجذر، ثم إن المجذر أتى رسول الله ﷺ، فقال: (والذي بعثك بالحق لقد جهدت عليه أن يستأسر فآتيك به، فأبى إلا أن يقاتلني، فقاتلته فقتلته) ؛ ينظر: السيرة النبوية لابن هشام، ج١/٦٢٩-٦٣٠ ؛ ينظر: نسب قريش، مصعب بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير، أبو عبد الله الزبيري (ت:٢٣٦ه) تحقيق: ليفي بروفنسال، دار المعارف، ط٣ (القاهرة) ٣٢٨ ؛ وتاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت:٧٤٨هـ) تحقيق: عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، ط٢ (بيروت/ ١٤١٣هـ/١٩٩٣م) ج٢/٥٨.

(٢) ينظر: تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك) ج٢/٣٤١-٣٤٢ ؛ والكامل في التاريخ، ج١/٦٨٣.

فقال زمعة بن الأسود: (أنت والله أكذب ما رضينا كتابتها حين كتبت)!! فقال أبو البختري: (صدق زمعة لا نرضى ما كتب فيها، ولا نقرّ به)، فقال المطعم بن عدي: (صدقتما وكذب من قال غير ذلك، نبرأ إلى الله منها ومما كتب فيها)، وقال هشام بن عمرو نحوا من ذلك، فقال أبو جهل: (هذا أمر قضي بليل، تشوور فيه في غير هذا المكان)، وذكر بن هشام: (أن رسول الله -ﷺ- قال لأبي طالب: (يا عم، إن ربي الله قد سلط الأرضة على صحيفة قريش، فلم تدع فيها اسما هو لله إلا أثبتته فيها، ونفت منه الظلم والقطيعة والبهتان، فقال: (أربك أخبرك بهذا)؟ قال: (نعم)، قال: (فو الله ما يدخل عليك أحد)، ثم خرج إلى قريش، فقال: (يا معشر قريش، إن ابن أخي أخبرني بكذا وكذا، فهلم صحيفتكم، فإن كان كما قال ابن أخي، فانتهوا عن قطيعتنا، وانزلوا عما فيها، وإن يكن كاذبا دفعت إليكم ابن أخي)، فقال القوم: (رضينا)، فتعاقدوا على ذلك، ثم نظروا، فإذا هي كما قال رسول الله -ﷺ- فزادهم ذلك شرا، فعند ذلك صنع الرهط من قريش في نقض الصحيفة ما صنعوا)[١] وفي رواية أخرى أن هذه الصحيفة التي في المعلقة في جوف الكعبة قد بعث الله عليها حشرة فلم تترك فيها اسما لله إلا لحسته، وتركت فيها الغدر والظلم[٢]، والمعنى المقصود في الروايتين واحد، وهو انه لا يجتمع اسم الله سبحانه وتعالى مع الظلم والعدوان والقطيعة[٣].

وعلى الرغم من هذه المقاطعة والنفي ومحاولة المشركين مصادرة رأيه ورسالته -ﷺ- وما عاناه فيها المسلمون من آلام وعذاب إلا ان الرسول -ﷺ- لم يتوقف عن الدعوة فقد كان يخرج في مواسم الحج ويلتقي الوافدين إلى مكة ويعرض

(١) السيرة النبوية لابن هشام، ج١/٣٧٧ ؛ والبداية والنهاية، ج٣/١١٩-١٢١.

(٢) ينظر: عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، ج١/١٤٨ ؛ وسبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد، ج٢/٣٧٩.

(٣) ينظر: السيرة الحلبية (إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون) ج١/٤٨٤ ؛ ومحمد خاتم المرسلين، شوقي ضيف، دار المعارف (القاهرة) ٢١٩.

عليهم الإسلام، وكذلك يعرض الإسلام على كل من يتصل به من مشركي قريش[١]، فإنّ الاضطهاد والاستبداد لا يقتل العقائد الراسخة في القلوب، بل يزيد جذورها عمقا، وفروعها امتدادا[٢].

وهنا تبرز لنا دروس واقعية وعملية من النفي والمقاطعة وهي:

١- لا يخلو زمان ولا مكان من أهل المروءة، وعلى القادة وأصحاب الرسائل الحضارية والإسلامية ان يسعوا دائما إلى الاهتمام بمن يتوسم فيهم هذه الخصلة للاستفادة منهم في أوقات الشدائد والمحن.

٢- ان أعداء الله من أهل الباطل في كل زمان ومكان يلجئون إلى استخدام سلاح محاربة أهل الحق في أرزاقهم ليستكينوا ويرجعوا عما يدعون إليه من الفضائل، ولو كان المسلمون الأوائل موظفين أو مستخدمين في دولة تخافهم فيما يدعون إليه، للجات تلك الدولة إلى فصلهم من أعمالهم كوسيلة من وسائل الاستبداد والتهميش التي تتخذها ضدهم. ولكن الوسيلة المتاحة في ذلك الوقت في هذا الميدان كانت المقاطعة بتلك الكيفية التي وقفنا عندها.

٣- ان ما أصاب الرسول -ﷺ- من ابتلاءات عزاء لكل مؤمن فيما يصيبه في هذه الحياة من بلاء ومصائب.

٤- لا تكاد تخلو جاهلية من الجاهليات القديمة أو الحديثة من قيم يمكن الاستفادة منها، فقد ضحى بنو هاشم تضحيات كبيرة في سبيل قيمهم الجاهلية الخاصة بحماية القريب والعصبية القبلية، واستفاد الإسلام من هذه التضحيات، وإذا وجدت قيم في مجتمعاتنا المعاصرة، مثل قوانين حقوق الإنسان أو اللجوء السياسي أو الحرية الفكرية، فلا ضير في الاستفادة منها كما استفاد المسلمون

(١) ينظر: نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم -ﷺ-، عدد من المختصين، إشراف، الشيخ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، ط٤ (جدة) ج١/٢٤٤.

(٢) ينظر: فقه السيرة، ١٢٩.

الأوائل من مؤازرة بني هاشم لهم في حصار الشعب[١]، ويقول الدكتور مصطفى السباعي[٢]–رحمه الله– : (إن للحق جنوداً يخدمونه، منهم الباطل)[٣].

المطلب الرابع

محاولات التصفية الجسدية (الاغتيال)

لقد عمد المشركون إلى أسلوب خطير حداً كان من اخطر الأساليب التي انتهجتها الخصومات السياسية والمنازعات الفكرية ألا وهو أسلوب الاغتيال والتصفية الجسدية حيث أن هذا الأسلوب لا يستخدم إلا في حالات قتل النفس فيقتل القاتل ثأرا للمقتول وفي بعض الحدود الجنائية والمخالفات الغير أخلاقية التي تصل عقوبتها إلى القتل، أما استخدامه من اجل خصومة سياسية والقلق من فكرة أو عقيدة أو منهج فهذا أمر خطير لجا إليه المشركون في كإحدى آليات المعارضة مع النبي –ﷺ– مع الفارق الكبير بين فكرة النبي ورسالته التي تريد لهم الخير والحياة والسعادة حتى بعد الممات، وبين تراثهم وشريعتهم التي تقوم على الفساد والاضطراب في كل مجالاتها وتعدديتها من حياتهم الاجتماعية مرورا بحياتهم الدينية إلى حياتهم المالية والعسكرية وغير ذلك[٤].

---

(١) ينظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الاصلية (دراسة تحليلية) مهدي رزق الله احمد، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية، ط١ (الرياض/١٤١٢هـ/١٩٩٢م) ٢٢١-٢٢٢.

(٢) هو مصطفى بن حسني، أبو حسان السباعي: عالم إسلامي، مجاهد، من خطباء الكتاب، ولد بحمص في سورية وتعلم بها وبالأزهر، اعتقله الإنكليز في مصر وفلسطين ستة أشهر، وأسلموه إلى الفرنسيين فسجنوه في لبنان ٣٠ شهرا، نال شهادة الدكتوراه في التشريع الإسلامي وتاريخه من الأزهر عام١٩٤٩م ثم واستقر في دمشق، استاذا بكلية الحقوق ١٩٥٠م توفي بدمشق ١٩٦٧م ؛ ينظر: الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد ابن علي بن فارس الزركلي الدمشقي (ت:١٣٩٦ه) دار العلم للملايين، ط١٥ (٢٠٠٢م) ج٧/٢٣١.

(٣) هكذا علمتني الحياة، مصطفى بن حسني السباعي (ت:١٣٨٤هـ) المكتب الإسلامي، ط ٤ (١٤١٨ه /١٩٩٧م) ٢٩٢.

(٤) ينظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الاصلية (دراسة تحليلية)، ٢٢٣.

وبعد فشل قريش وخيبتهم في إيقاف الرسالة المحمدية نشأت عند طغاتهم فكرة اغتياله -ﷺ- ومما يدل على ذلك ما ذكره ابن إسحاق[١] وغيره أن أبا جهل اجتمع بطغاة المشركين وزعمائهم فقال لهم : (يا معشر قريش إن محمدا قد أبي إلا ما ترون من عيب ديننا، وشتم آبائنا، وتسفيه أحلامنا، وشتم آلهتنا، وإني أعاهد الله لأجلسن له بحجر ما أطيق حمله، فإذا سجد في صلاته فضخت به رأسه، فأسلموني عند ذلك أو امنعوني، فليصنع بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم)، قالوا: (والله لا نسلمك لشيء أبدا، فامض لما تريد)، فلما أصبح أبو جهل، أخذ حجرا كما وصف، ثم جلس لرسول الله -ﷺ- ينتظره، وغدا رسول الله -ﷺ- كما كان يغدو، فقام يصلي، وقد غدت قريش فجلسوا في أنديتهم، ينتظرون ما أبو جهل فاعل، فلما سجد رسول الله -ﷺ-، احتمل أبو جهل الحجر، ثم أقبل نحوه، حتى إذا دنا منه رجع منهزما متغير اللون، مرعوبا قد يبست يداه على حجره، حتى قذف الحجر من يده، وقامت إليه رجال قريش فقالوا له: (ما لك يا أبا الحكم)؟ قال: (قمت إليه لأفعل به ما قلت لكم البارحة، فلما دنوت منه عرض لي دونه فحل من الإبل، لا والله ما رأيت مثل هامته، ولا مثل قصرته ولا أنيابه لفحل قط، فهمّ بي أن يأكلني)[٢]. قال ابن إسحاق: فذكر لي أن رسول الله -ﷺ- قال: (ذلك جبريل -عليه السلام- لو دنا لأخذه)[٣].

---

(١) هو محمد بن إسحاق، بن يسار مولى قيس بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف بن قصي ويكنى أبا عبد الله، كان محمد بن إسحاق أول من جمع مغازي رسول الله -ﷺ- وألفها، وكان يروي عن عاصم بن عمر بن قتادة، ويزيد بن رومان، ومحمد بن إبراهيم وغيرهم، ويروي عن فاطمة بنت المنذر بن الزبير ؛ ينظر: الطبقات الكبرى، ج٤٥٠/٥.

(٢) سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي) ٢٠٠ ؛ والاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله -ﷺ- والثلاثة الخلفاء، ج١٨٩/١.

(٣) السيرة النبوية لابن هشام، ج٢٩٩/١ ؛ وشرف المصطفى، عبد الملك بن محمد بن إبراهيم النيسابوري الخركوشي أبو سعد (ت:٤٠٧هـ) دار البشائر الإسلامية، ط١ (مكة/١٤٢٤هـ) ج٣٥٠/٣ ؛ والمجالس الوعظية في شرح أحاديث خير البرية -ﷺ- من صحيح الإمام البخاري، شمس الدين محمد بن عمر بن أحمد السفيري الشافعي

(واستمر المشركون في محاربتهم للرسول -ﷺ- بعدما أيقنوا أن الدعوة الجديدة تعني إحداث تغير كامل في بنية التنظيمات القائمة، وإحداث خلخلة كاملة لكل معتقدات قريش وموروثاتها الدينية والاجتماعية والإدارية)[١]، من اجل ذلك حاول المشركون بشكل ما وبصورة حازمة أن يقفوا أمام هذا التغير الذي يدعو إليه محمد -ﷺ- وذلك بكل ما أوتوا من قوة، يشير ابن سعد إلى محاولة مبكرة من زعماء قريش لإيقاف دعوة النبي -ﷺ- باغتياله والتخلص منه فيقول: بعد أن يأس المشركون من إقناع أبي طالب بان يكف عن مناصرته لابن اخيه -ﷺ- واستمالة الرسول -ﷺ- اليهم قالوا: (وما خير من أن يغتال محمد)، ولكن أبا طالب وقف بحزم تجاه هذه المحاولة المكية، إذ جمع فتيان بني هاشم وبني المطلب ثم طلب منهم أن يتسلح كل منهم بحديدة صارمة ثم قال لأهل مكة: (والله لو قتلتموه ما بقّيت منكم أحدا حتى نتفانى نحن وأنتم، فانكسر القوم)[٢]، ولعل هذا الموقف من أبي طالب هو الذي ردع المشركين وأجبرهم على أن لا يعودوا إلى اعتماد أسلوب الاغتيال[٣]، ولكن فكرة قتله -ﷺ- لم تغادر عقولهم، وتأكدوا أن بقاء محمد -ﷺ- سوف يؤدي إلى القضاء على عبادة تراثهم الديني من الأصنام، وحرمانهم من السيادة والتسلط، وكان آخر محاولاتهم مؤامرة ليلة الهجرة، كانت دار قصي بن كلاب هي ندوة قريش يجتمعون فيها للنظر فيما يعنيهم من الأمور وما يصادفهم من المشكلات

(ت:٩٥٦هـ) حققه وخرج أحاديثه: أحمد فتحي عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، ط١ (بيروت/١٤٢٥ه/٢٠٠٤م) ج٢/٣٥٢.

(١) الإدارة في عصر الرسول -ﷺ-، أحمد عجاج كرمي، دار السلام، ط١ (القاهرة/ ١٤٢٧هـ) ٦٢.

(٢) الطبقات الكبرى، ج١/١٥٨-١٥٩.

(٣) ينظر: دراسة في السيرة، عماد الدين خليل، دار النفائس، ط٢ (بيروت/١٤٢٥هـ) ٥٦-٥٧.

وكذلك يتشاورون في أمور السلم والحرب ولذلك سميت بدار الندوة[١]، ولا شك أن أمر محمد بن عبد الله -ﷺ- قد أصبح شغلهم الشاغل ومشكلتهم الكبرى، وخاصة بعدما بدأت ملامح الإسلام تظهر في يثرب، وأصبح للمسلمين وطن جديد يستطيعون أن يعيشوا فيه بأمان ويستطيعون أن يتواصلوا مع القبائل والأوطان الأخرى، من اجل ذلك اجتمع كبار المشركين من قريش بدار الندوة ليتشاورا فيما يصنعون بمحمد بن عبد الله -ﷺ- بعد أن عظم أمره واشتد خطره، وكان ذلك اليوم الذي اجتمعوا فيه يسمى يوم الزحمة، وقبل أن يبدؤوا باجتماعهم اللعين دخل عليهم إبليس في صورة شيخ جليل فوقف على باب الدار، فلما رأوه واقفا على بابها، قالوا: (من الشيخ)؟ قال: (شيخ من أهل نجد سمع بالذي اجتمعتم له، فحضر معكم ليسمع ما تقولون، وعسى أن لا يعدمكم منه رأيا ونصحا)، قالوا: (أجل، فادخل، فدخل معهم)، فقال بعضهم لبعض: (إن هذا الرجل قد كان من أمره ما قد رأيتم، فإنا والله ما نأمنه على الوثوب علينا فيمن قد اتبعه من غيرنا، فأجمعوا فيه رأيا)، قال: فتشاوروا ثم قال قائل منهم: (احبسوه في الحديد، وأغلقوا عليه بابا، ثم تربصوا به ما أصاب أشباهه من الشعراء الذين كانوا قبله، زهيرا والنابغة، ومن مضى منهم، من هذا الموت، حتى يصيبه ما أصابهم)، فقال الشيخ النجدي: (لا والله، ما هذا لكم برأي، والله لئن حبستموه كما تقولون ليخرجن أمره من وراء الباب الذي أغلقتم دونه إلى أصحابه، فلأوشكوا أن يثبوا عليكم، فينزعوه من أيديكم، ثم يكاثروكم به، حتى يغلبوكم على أمركم، ما هذا لكم برأي، فانظروا في غيره)، فتشاوروا، ثم قال قائل منهم: (نخرجه من بين أظهرنا، فننفيه من بلادنا، فإذا أخرج عنا فو الله ما نبالي أين ذهب، ولا حيث وقع، إذا غاب عنا وفرغنا منه، فأصلحنا أمرنا وألفتنا كما كانت)، فقال الشيخ النجدي: (لا والله، ما هذا لكم برأي، ألم تروا حسن حديثه، وحلاوة منطقه، وغلبته على قلوب الرجال بما يأتي به، والله لو فعلتم ذلك ما أمنتم أن يحل

(١) ينظر: أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن الوليد بن عقبة بن الأزرق الغساني المكي المعروف بالأزرقي (ت:٢٥٠هـ) تحقيق: رشدي الصالح ملحس، دار الأندلس للنشر (بيروت) ج١٠٩/٢؛ والمفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج١٠٩/٣.

على حي من العرب، فيغلب عليهم بذلك من قوله وحديثه حتى يتابعوه عليه، ثم يسير بهم إليكم حتى يطأكم بهم في بلادكم، فيأخذ أمركم من أيديكم، ثم يفعل بكم ما أراد، دبروا فيه رأيا غير هذا)، قال: فقال أبو جهل بن هشام: (والله إن لي فيه لرأيا ما أراكم وقعتم عليه بعد)، قالوا: (وما هو يا أبا الحكم)؟ قال: (أرى أن نأخذ من كل قبيلة فتى شابا جليدا نسيبا وسيطا فينا، ثم نعطي كل فتى منهم سيفا صارما، ثم يعمدوا إليه، فيضربوه بها ضربة رجل واحد، فيقتلوه، فنستريح منه، فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل جميعا، فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعا، فرضوا منا بالعقل، فعلقناه لهم)، قال: فقال الشيخ النجدي: (القول ما قال الرجل، هذا الرأي الذي لا رأي غيره)، فتفرق القوم على ذلك وهم مجمعون له، فأتى جبريل -عليه السلام- رسول الله -ﷺ-، فقال: لا تبت هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبيت عليه، قال: فلما كانت عتمة من الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه متى ينام، فيثبون عليه، فلما رأى رسول الله -ﷺ- مكانهم، قال لعلي بن أبي طالب[1] رضي الله عنه:

(١) هو الصحابي الجليل علي بن أبي طالب الهاشمي - رضي الله عنه- ابن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي أبو الحسن. أول الناس إسلاما في قول كثير من أهل العلم ولد قبل البعثة بعشر سنين على الصحيح فربي في حجر النبي ﷺ ولم يفارقه وشهد معه المشاهد إلا غزوة تبوك فقال له ﷺ بسبب تأخيره له بالمدينة: (ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى) وزوجه ابنته فاطمة. وكان اللواء بيده في أكثر المشاهد ولما آخى النبي -ﷺ- بين أصحابه قال له: (أنت أخي) ومناقبه كثيرة حتى قال الإمام أحمد: لم ينقل لأحد من الصحابة ما نقل لعلي قتل علي -رضي الله عنه- في ليلة السابع عشر من شهر رمضان سنة أربعين من الهجرة ومدة خلافته خمس سنين إلا ثلاثة أشهر ونصف شهر لأنه بويع بعد قتل عثمان في ذي الحجة سنة خمس وثلاثين ؛ ينظر الإصابة في تمييز الصحابة، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت:٨٥٢هـ) تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية، ط١ (بيروت/١٤١٥هـ) ج ٤/٤٦٤-٤٦٨.

(نم على فراشي وتسج ببردي هذا الحضرمي الأخضر، فنم فيه، فإنه لن يخلص إليك شيء تكرهه منهم)[١].

قد يظن كثير من كتاب السيرة أن هذه الواقعة – واقعة التآمر على حياة النبي–ﷺ هي سبب الهجرة، وأن الهجرة كانت أمرا مسببا لها، ولكن الهجرة كانت أمرا مقررا، وتنظيما محكما، يقول الله –ﷻ–:﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾[٢]، (فهم يدبرون من جانبهم، والله تعالى يدبر أمرا، قد وجه النبي –ﷺ– إليه، وهو الهجرة، والأمر الذي مكروا به وتآمروا عليه خلاصته ما ذكرته الآية الكريمة)[٣].

المطلب الخامس

المفاوضات والمساومات والترغيب

لقد بذل المشركون جهدا كبيرا أرادوا من خلاله صرف الرسول –ﷺ– عن دعوته ورسالته بل نستطيع ان نقول أنهم أرادوا الوصول معه إلى قاسم مشترك من خلال مساومات ومفاوضات كثيرة أحيانا معه مباشرة وأحيانا أخرى عن طريق من له مكانة وتقديرا في قلبه –ﷺ– مثل عمه أبو طالب، الذي لم يؤل جهدا في حماية ابن أخيه محمد –ﷺ– وهم لا يعرفون ان المساومات والمفاوضات لا تبنى على حساب العقيدة والمنهج وانه ليس من حق أي شخص ان يفاوض أو يتنازل عن لا اله إلا الله ومدلولاتها وأبعادها، وتارة أخرى يقومون بالتفاوض معه من خلال إغرائه ببعض الأشياء الدنيوية التي تميل إليها النفوس البشرية بالفطرة، كالمال والنساء والزعامة، ولكن كل ذلك كان بعيدا عن طموحات النبي –ﷺ– وعن غاياته

(١) تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك) ج٢/٣٧٢ ؛ ونهاية الأرب في فنون الأدب، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري شهاب الدين النويري (ت:٧٣٣هـ) دار الكتب والوثائق القومية، ط١ (القاهرة/١٤٢٣هـ) ج١٦/٣٢٩.

(٢) سورة الأنفال: الآية ٣٠.

(٣) خاتم النبيين –ﷺ–، ج١/٤٥٣.

وأهدافه لأن الله ﷻ قد خيره بين أن يكون نبيًا عبدًا أو نبيًا ملكًا، فأختار أن يكون نبيًا عبدًا، وعرضت عليه الدنيا فردها واختار ﷺ ما عند الله [١].

أولاً: مفاوضات ومساومات المشركين مع أبي طالب

من حكمة الله تبارك وتعالى أن جبل قلب أبي طالب على حب ابن أخيه محمد ﷺ وجعله يحنوا عليه ويدافع عنه، ولقد كان المشركون من قريش يحترمون أبو طالب لمكانته فيهم، ويقدرونه كذلك لبقائه على دينهم وكذلك كانوا يخشون أن يدفعه حبه لابن أخيه إلى الإسلام فكانوا يعظمون من شانه دائما، ومن حكمة الله ﷻ أيضا أن كان وقوف أبي طالب مدافعا عن الرسول ﷺ سببا في منع مساعيهم المستمرة لإيقاف الرسالة الإسلامية، فلقد حاول المشركون التأثير على أبي طالب من اجل أن يتخلى عن دفاعه ومساندته لأبن أخيه محمد ﷺ مستخدمين أساليب متنوعة، ففي المرة الأولى ذهب إليه وفد من كبارهم ووجهائهم فقالوا: (يا أبا طالب، إن ابن أخيك قد سب آلهتنا، وعاب ديننا، وسفه أحلامنا، وضلل آباءنا، فإما أن تكفه عنا، وإما أن تخلي بيننا وبينه، فإنك على مثل ما نحن عليه من خلافه، فنكفيكه)، فقال لهم أبو طالب قولا رفيقا، وردهم ردا جميلا، فانصرفوا عنه[٢].

وورد أنهم أتوه مرة أخرى فقالو: (يا أبا طالب إن ابن أخيك يأتينا في كعبتنا ونادينا فيسمعنا ما يؤذينا به فان رأيت أن تكفه عنا فافعل)، فبعث إلى النبي -ﷺ- فجاءه فقال له: (إن بني عمك هؤلاء قد زعموا انك تؤذيهم في ناديهم ومسجدهم فانته عن أذاهم)، فحلق رسول الله -ﷺ- ببصره إلى السماء فقال: (أترون هذه الشمس)؟ قالوا: (نعم)، قال: (فما انأ بأقدر على أن ادع ذلك منكم على أن تستشعلوا منها شعلة)[٣]، فقال أبو طالب: (والله ما كذب ابن أخي فارجعوا)[١].

---

(١) ينظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال، ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (ت:٤٤٩هـ) تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، ط٢ (الرياض/١٤٢٣هـ /٢٠٠٣م) ج٩/٤٦٤.

(٢) ينظر: السيرة النبوية لابن هشام، ج١/٤٠٧.

(٣) مسند أبي يعلى، أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي الموصلي (ت:٣٠٧هـ) تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، ط١ (دمشق/

ومن الواضح أن التهم التي اتهموا الرسول -ﷺ- مبالغ فيها كثيرا، فهو لم يسبّ آلهتهم لأن القرآن الكريم حرم هذا الأمر بقوله -ﷻ-:﴿ وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرۡجِعُهُمۡ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾[٢]، (وفي إمكان المرء أن يراجع القرآن الكريم من الدفة إلى الدفة ليستيقن أنه لا يشتمل على كلمة واحدة تهين آلهة الكفّار، كل ما يقوله القرآن الكريم عن تلك الآلهة أنها لا تستطيع أن تعود عليهم بأي نفع، أو أن تدفع عنهم أيما ضر، وإنما ذكر المشركون من قريش لأبي طالب أوصاف السب والاهانة لدينهم، ابتغاء إهاجة أبي طالب وإيغار صدره على ابن اخيه محمد -ﷺ-...)[٣].

ثانياً: مفاوضات المشركين مع الرسول -ﷺ- وإغرائهم له

رأى المشركون وقد عجزوا عن أن يكف النبي -ﷺ- عما يقول بالإيذاء والفتنة والسعي إلى عمه أبي طالب من اجل أن يترك دفاعه المستمر عن ابن أخيه محمد -ﷺ-، بل والإيذان بالحرب والمقاطعة فقرروا أن يلجؤوا إلى سياسة الملاينة، والإغراء بالمال، أو النساء، أو الجاه، أو الملك والسلطان ظنا منهم أنه ربما يغريه بريق هذه العروض، وهذا النوع من المفاوضات والاغراء نوع خطير يستخدمه الخصوم السياسيون دائما من خلال إغرائهم بهذه الأشياء التي ذكرناها آنفا واستمالتهم إلى جانبهم حتى يستمروا بنشر أفكارهم ومناهجهم وسيادتهم على الناس، وروي أن عتبة بن ربيعة، وكان سيدا، قال يوما، وهو في نادي قريش، ورسول الله -ﷺ- جالس في المسجد وحده: (يا معشر قريش ألا أقوم إلى محمد؟ فأكلمه،

١٤٠٤هـ /١٩٨٤م) رقم الحديث: (٦٨٠٤) ج١٢/١٧٦؛ ودلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، ج٢/١٨٧، قال الشيخ الالباني (حديث حسن).

(١) سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي) ١٥٥ ؛ ودلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، ج٢/١٨٧.

(٢) سورة الأنعام : الآية ١٠٨.

(٣) خاتم النبيين ﷺ، ج١/٣٧٣.

وأعرض عليه أمورا لعله يقبل بعضها، فنعطيه أيها شاء، ويكف عنا)؟ فقالوا: (بلى، يا أبا الوليد قم إليه، فكلمه)، فقام إليه عتبة، حتى جلس إلى رسول الله -ﷺ- فقال : (يا ابن أخي، إنك منا حيث قد علمت من السطة في العشيرة، والمكان في النسب، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم، وسفهت به أحلامهم، وعبت به آلهتهم ودينهم، وكفرت به من مضى من آبائهم، فاسمع مني أعرض عليك أمورا تنظر فيها، لعلك تقبل منها بعضها، قال: فقال رسول الله -ﷺ-: (قل يا أبا الوليد أسمع)، قال: (يا ابن أخي، إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا، وإن كنت تريد به شرفا سودناك علينا، حتى لا نقطع أمرا دونك، وإن كنت تريد به ملكا ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رئيا تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب، وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه)، حتى إذا فرغ عتبة ورسول الله -ﷺ- يستمع منه قال: (أو قد فرغت يا أبا الوليد)؟ قال: (نعم)، قال: (فاسمع مني)، قال: (أفعل)، فقرا له الرسول -ﷺ- قوله -ﷻ-:﴿حٰمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ۝٣ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ۝٤ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ۝٥﴾[1]، (ثم مضى رسول الله -ﷺ- فيها يقرؤها عليه، فلما سمعها منه عتبة أنصت لها، وألقى يديه خلف ظهره معتمدا عليهما، يسمع منه، ثم انتهى رسول الله -ﷺ- إلى السجدة منها فسجد، ثم قال: (قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت، فأنت وذاك)[2]، فقام عتبة إلى أصحابه، فقال بعضهم لبعض: (نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به)، فلما جلس إليهم قالوا:

(١) سورة فصلت : الآيات ١-٥.

(٢) الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي الخراساني أبو بكر البيهقي (ت:٤٥٨هـ) تحقيق: أحمد عصام الكاتب، دار الآفاق الجديدة، ط١ (بيروت/١٤٠١هـ) باب القول في إثبات نبوة محمد المصطفى -ﷺ- ٢٦٧.

(ما وراءك يا أبا الوليد)؟ قال: (ورائي أني سمعت قولا والله ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالشعر، ولا بالسحر، ولا بالكهانة، يا معشر قريش أطيعوني واجعلوها بي، وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم، وعزه عزكم، وكنتم أسعد الناس به)، قالوا: (سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه)، قال: (هذا رأيي فيه، فاصنعوا ما بدا لكم)[١]، هذه صورة سياسية أخرى تجسدت بالمساومة وتجلت بإغرائه -ﷺ- وعرض المنصب والمال والنساء عليه، فأبى عليهم[٢].

المبحث الثالث

اساليب منافقين المدينة في معارضتهم السياسية للنبي ﷺ

المنافقون جرثومة فساد في جسم الأمة الاسلامية، وبؤرة خبيثة في كيانها، يعيشون بين صفها، ويبلبلون الأفكار، ويشككون في المواقف، وفوق هذا وذاك هم طابور خامس[٣] للعدو الخارجي، من هذا كان عذابهم أشد قال الله -ﷻ-: ﴿ إِنَّ

(١) السيرة النبوية لابن هشام، ج١/٢٩٣-٢٩٤ ؛ وعيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، ج١/١٢٤-١٢٥.

(٢) ينظر: الرحيق المختوم (مع بعض التعديلات والزيادات من د علاء الدين زعتري وغسان محمد رشيد الحموي) صفي الرحمن المباركفوري (ت:١٤٢٧هـ) دار العصماء، ط١ (دمشق/١٤٢٧هـ) ٦١.

(٣) الطابور الخامس: جماعة من المواطنين تساعد العدو في السر بالتجسس لصالحه، ويقوم هؤلاء العملاء بتمهيد الطريق للغزو العسكري أو السياسي، ويشمل نشاطهم التجسس والتخريب والتدمير الاقتصادي والدعاية وإثارة الشعور العام، ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، ج١/٦٩٧؛ وصور الإعلام الإسلامي في القرآن الكريم (دراسة في التفسير الموضوعي) عاطف إبراهيم المتولي رفاعي، اشراف: حاتم محمد منصور مزروعة، رسالة ماجستير، قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية العلوم الإسلامية، جامعة المدينة العالمية في ماليزيا، (١٤٣٢هـ/٢٠١١م) ١٦٨.

﴿ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾[١]، فالإيمان ليس لعبة يتلهى بها صاحبها، ثم يدعها ويمضي مخالفاً لها، وقد كان المنافقون يدعون الإيمان، ويخالفون مدلوله: ﴿ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[٢] فهذا الفريق الذي يدعي الإيمان، ثم يسلك هذا السلوك الملتوي، إنما هو نموذج للمنافقين في كل زمان ومكان، فالمنافقين الذين لا يجرؤون على الجهر بكلمة الكفر، فيتظاهرون بالإسلام، ولكنهم لا يرضون أن تقضي بينهم شريعة الله إلا أن تكون لهم مصلحة، لعلمهم أن حكم الله ورسوله لا يحيد عن الحق، ولا ينحرف عن الهوى، ولا يتأثر بالمودة والشنآن،هذا الفريق الغير منضبط من الناس لا يريد الحق، ولا يطيق العدل[٣]، ومن ثم يعرضون عن التحاكم إليه ﴿ وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾[٤].

وعندما انتقل الإسلام إلى المدينة واستقرّ الرسول -ﷺ- وأصحابه فيها، وبدأ الإسلام ينتشر، ويزحف، ويعلو، وقام المجتمع الإسلاميّ بجميع لوازمه، تغير الوضع ونجم النفاق ورفع رأسه، وكان ظاهرة طبيعية نفسية لا بدّ منها، فإنّما تظهر بادرة النفاق في بيئة تجمع بين دعوتين متنافستين، وقيادتين متقابلتين، هناك يوجد عنصر مضطرب يتأرجح بين هاتين الدعوتين، ويتردد في إيثار إحداهما على الأخرى، وقد ينحاز إلى دعوة، فيكون في معسكرها، ويعطيها ولاءه وحبّه العاطفيّ، إلا أنّ مصالحه المادية، وانتشار الدعوة المقابلة وانتصارها، لا يسمح له بإعلان موقفه، والانضواء إلى الدعوة الأولى، وقطعه للحبال التي تربطه ببيئته الأولى،

(١) سورة النساء: الآية ١٤٥.

(٢) سورة النور: الآية ٤٧.

(٣) ينظر: موسوعة فقه القلوب، محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري، بيت الأفكار الدولية، ج٢/ ١٢٠٥؛ والسيرة النبوية لأبي الحسن الندوي، علي أبو الحسن بن عبد الحي بن فخر الدين الندوي (ت:١٤٢٠هـ) دار ابن كثير، ط١٢ (دمشق/١٤٢٥هـ) ٢٨٤؛ والسيرة النبوية والدعوة في العهد المدني، ٣٨٤.

(٤) سورة النور: الآية ٤٨-٤٩.

فحركة النفاق حركة مدنية، لم يكن لها وجود في مكة، لأنه لم يكن هناك ما يدعو إليها، فالمسلمون في مكة كانوا في موقف المضطهد الذي لا يحتاج أحد أن ينافقه، فلما أعز الله الإسلام والمسلمين بالأوس والخزرج في المدينة، وانتشر في العشائر والبيوت، بحيث لم يبق بيت إلا دخله الإسلام، اضطر ناس ممن كرهوا للإسلام وللرسول أن يعز ويستعلي، ولم يملكوا في الوقت ذاته أن يجهروا بالعداوة، اضطروا للتظاهر بالإسلام على كره، وهم يضمرون الكفر والحقد والبغضاء، ويتربصون بالرسول -ﷺ- وأصحابه الدوائر[١]، وهذا ما سأبحثه في ستة مطالب وكالآتي:

المطلب الاول: التثبيط ومحاولة زعزعة المعنويات.

المطلب الثاني: الاستهزاء والسخرية.

المطلب الثالث: محاولة اغتيال النبي -ﷺ-.

المطلب الرابع: ضرب الوحدة الاسلامية.

المطلب الخامس: التسقيط السياسي.

المطلب السادس: استعانة المنافقين باليهود.

المطلب الاول

التثبيط ومحاولة زعزعة المعنويات

شكل موقف المنافقين خطورة شديدة على الكيان الداخلي للأمة، تمثل ذلك بخذلانهم الدولة في المواقف العصيبة ورفضهم التعاون الصادق عند الخطر[٢]، (وقد استمر المنافقون في المدينة على الرغم من قلتهم وتظاهرهم بالإسلام على تثبيط الهمم ونشر الروح الانهزامية وخلق الفتن والمشاكل للمسلمين، ولكنهم لم يكونوا بدرجة من الأهمية والقوة بحيث يحسب لهم المسلمون أيّ حساب، وقد أصبحوا على

(١) ينظر: موسوعة فقه القلوب، ج٢/ ١٢٠٤-١٢٠٥ ؛ والسيرة النبوية، ٢٨٤ ؛ والسيرة النبوية والدعوة في العهد المدني، ٣٨٤.

(٢) مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول -ﷺ-، ٣٣٩.

مرّ الزمن معروفين لأهل المدينة لا تخفى أعمالهم على أحد، وكان باستطاعة النبي ﷺ تطهير المدينة منهم، لولا رغبته في أن يثوبوا الى رشدهم، ولو بعد حين)[١]، وسأبحث بعضاً من تلك التثبيطات، وهي كالآتي:

١- انسحاب المنافق ابن سلول بثلث الجيش -وكان يمني نفسه بملك يثرب تؤازره يهود[٢]- وذلك عندما وصل جيش المسلمين الشواط[٣]، فانسحب بثلاثمائة من المنافقين بحجة أنه لن يقع قتال مع المشركين، ومعترضًا على قرار القتال خارج المدينة قائلا: (أطاع الولدان ومن لا رأي له، أطاعهم وعصاني، علام نقتل أنفسنا) وكان هدفه الرئيس من هذا التمرد أن يحدث بلبلة واضطرابًا في الجيش الإسلامي لتنهار معنوياته، ويتشجع العدو، وتعلو همته، وعمله هذا ينطوي على خيانة عظيمة، وبغض الإسلام والمسلمين، وقد اقتضت حكمة الله أن يمحص الله الجيش ليظهر الخبيث من الطيب، حتى لا يختلط المخلص بالمغرض، والمؤمن بالمنافق قال -ﷻ-: ﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ ﴾[٤] فالجبن والنكوص هما اللذان كشفا عن طوية المنافقين، فافتضحوا أمام أنفسهم وأمام الناس قبل أن يفضحهم القرآن[٥].

٢- عندما بشر الرسول-ﷺ- المسلمين أثناء حفر الخندق حول المدينة بأنهم سيستخلفون على ملك فارس والروم واليمن، كما ورد في الحديث عن عبد الله ابن عمرو -رضي الله عنه- قال:(أمر رسول الله -ﷺ- بالخندق على المدينة فأتاه قوم

---

(١) الرسول القائد، محمود شيت خطاب (ت:١٤١٩هـ)، دار الفكر، ط٦ (بيروت/١٤٢٢هـ) ٣٩٥.

(٢) مع المصطفى، ١٧٣.

(٣) الشواط : اسم حائط، أي بستان، بين المدينة وأحد ؛ ينظر: السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، ٤٧٨.

(٤) سورة آل عمران: جزء من الآية ١٧٩.

(٥) ينظر: السيرة النبوية لابن هشام، ج٦٤/٢ ؛ والبدء والتاريخ، ج٤/ ٢٠٠ ؛ وإنارة الدجى في مغازي خير الورى ﷺ حسن بن محمد المشاط المالكي (ت:١٣٩٩هـ) دار المنهاج، ط٢ (جدة/١٤٢٦هـ) ٢٥٢.

فأخبروه أنهم وجدوا صفاة لم يستطيعوا أن ينقبوها فقام رسول الله -ﷺ- وقمنا معه فأخذ المعول فضرب فلم أسمع ضربة من رجل كانت أكبر صوتا منها فقال الله أكبر فتحت فارس ثم ضرب أخرى مثلها فقال الله أكبر فتحت الروم ثم ضرب أخرى مثلها فقال الله أكبر وجاء الله بحمير أعوانا وأنصارا)[١]، فكانت هذه البشرى مثاراً لسخرية المنافقين والذين في قلوبهم مرض، وأخذوا يتندرون بهذه البشرى التي جاءت في وقت يحفر فيه المسلمون خندقًا حول المدينة ليحموا أنفسهم من كفار قريش وأحلافها[٢]، حتى أنزل الله في ذلك قوله: ﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ ۛ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ ﴾[٣]، وفي هاتين الآيتين نجد ان موقف المنافقين له ثلاث صور وهي:

- الصورة الأولى: (قالوا: (ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا) أي باطلا من القول وذلك أن ابن أبيرق[٤] ومعتب بن قشير[١] وجماعة نحو من سبعين رجلا قالوا

---

(١) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الريان للتراث، دار الكتاب العربي (القاهرة/بيروت/١٤٠٧ه) كتاب الجهاد، باب غزوة الخندق وقريظة ،رقم الحديث: (٦٩٢) ج٢/٧٠٤ = =؛ وأخرجه العسقلاني في المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: سعد بن ناصر بن عبد العزيز الشتري، دار العاصمة، دار الغيث، ط١ (المملكة العربية السعودية/١٤١٩هـ) باب غزوة الأحزاب وقريظة، رقم الحديث: (٤٢٧٦) ج١٧/٣٩٦، قال الهيثمي: (رجاله رجال الصحيح فهو صحيح).

(٢) ينظر: الإسلام وأوضاعنا السياسية، عبد القادر عودة (ت:١٣٧٣ه) مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت/١٤٠١ه/١٩٨١م) ١٠٧.

(٣) سورة الأحزاب : الآية ١٢-١٣.

(٤) أبا طعمة بشير بن أبيرق، كان منافقا وأنه سرق من علية بن رفاعة بن زيد طعاما وسلاحا فنزل فيه قول الله -ﷻ-: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴾، فهرب فلحق بمكة حتى نزل عند سلامة بنت سعد فوقع يشتم رسول

يوم الخندق :(كيف يعدنا كنوز كسرى وقيصر ولا يستطيع أحدنا أن يتبرز؟!)[٢]، نعم قال المنافقون: (ألا تعجبون: يحدثكم ويمنيكم، ويعدكم بالباطل، يخبركم أنه بصر من يثرب قصور الحيرة، ومدائن كسرى، وأنها تفتح لكم، وأنتم تحفرون الخندق، ولا تستطيعون أن تبرزوا!!)[٣].

- صورة الثانية : (قالوا : (لا مقام لكم) أي: هاهنا، يعنون عند النبي -ﷺ- في مقام المرابطة، (فارجعوا) أي: إلى بيوتكم ومنازلكم)[٤].
- الصورة الثالثة: (قالوا: (ان بيوتنا عورة) عن ابن عباس[٥]-رضي الله عنه-: (هم بنو حارثة قالوا: بيوتنا نخاف عليها السرق)[١].

الله -ﷺ- وأصحابه فرماه حسان -رضي الله عنه- بأبيات فلما بلغها شعر حسان أخرجته من بيتها فلحق بالطائف فدخل بيتا ليس فيه أحد فوقع عليه فقتله ؛ ينظر: الخصائص الكبرى، ج٢/١٣١-١٣٢.

(١) معتب بن قشير بن مليل بن زيد بن العطاف بن ضبيعة، ليس له عقب شهد بدراً ذكروه فيمن شهد العقبة وقيل أنه كان منافقاً وأنه الذي قال يوم أحد لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ها هنا وقيل أنه تاب ؛ ينظر: الطبقات الكبرى، ج٣/١٤٢٩.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت:٦٧١هـ) تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، (الرياض/١٤٢٣ هـ/٢٠٠٣م) ج١٤/١٤٦.

(٣) دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، ج٣/٤٢٠.

(٤) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت:٧٧٤هـ) تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢ (١٤٢٠هـ /١٩٩٩م) ج ٦/٣٨٩.

(٥) هو الصحابي الجليل عبد الله بن عباس بن عبد المطلب الهاشمي ابن عم رسول الله -ﷺ- كان يقال له الحبر والبحر لكثرة علمه، كان مولده عام الشعب قبل الهجرة بثلاث سنين، وقبض النبي -ﷺ- وهو ختين، وكانوا يختنون للبلوغ، وتوفي بالطائف سنة ثمان وستين، وقيل: سنة سبعين، وصلى عليه محمد ابن الحنفية، وسماه رباني هذه الأمة، فجاء طير أبيض فدخل في أكفانه، وسمع هاتفا يهتف من قبره ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴾، كان عمر بن الخطاب يدنيه ويسأله، ويدخله مع مشيخة أهل بدر، وكان له

لقد وجد هؤلاء (المنافقون) في الشدة الآخذة بالخناق فرصة للكشف عن خبيثة نفوسهم وهم آمنون من أن يلومهم أحد وفرصة للتوهين والتخذيل وبث الشك والريبة في وعد الله ووعد رسوله، وهم مطمئنون أن يأخذهم أحد بما يقولون. فالواقع بظاهره يصدقهم في التوهين والتشكيك، وهم مع هذا منطقيون مع أنفسهم ومشاعرهم فالهول قد أزاح عنهم ذلك الستار الرقيق من التجمل، وروع نفوسهم ترويعا لا يثبت له إيمانهم المهلهل! فجهروا بحقيقة ما يشعرون غير مبقين ولا متجملين! ومثل هؤلاء المنافقين والمرجفين قائمون في كل جماعة، فهم نموذج مكرر في الأجيال والجماعات على مدار الزمان! فهم يحرضون أهل المدينة على ترك الصفوف، والعودة إلى بيوتهم، بحجة أن إقامتهم أمام الخندق مرابطين هكذا، لا موضع لها ولا محل، وبيوتهم معرضة للخطر من ورائهم.. وهي دعوة خبيثة تأتي النفوس من الثغرة الضعيفة فيها، ثغرة الخوف على النساء والذراري والخطر محدق والهول جامح، والظنون لا تثبت ولا تستقر! ويستأذنون بحجة أن بيوتهم مكشوفة للعدو متروكة بلا حماية، وهنا يكشف القرآن عن الحقيقة، ويجردهم من العذر والحجة: (وَما هِيَ بِعَوْرَةٍ) ويضبطهم متلبسين بالكذب والاحتيال والجبن والفرار: (إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِراراً)(٢).

وها هم المنافقون في تلكم الغزوة يفزعون حينما يرون الأحزاب، وقد جمعوا جموعهم وتهيئوا للحرب والقتال، وتظلم نفوسهم، فيسخرون من وعود الرسول – ﷺ– لهم بالنصر على أعدائهم، ويقولون: (كان محمد يعدنا كنز كسرى وقيصر، فما بالنا لا يأمن أحدنا على نفسه أن يذهب إلى الغائط)، ثم يتمادى المنافقون في غدرهم وخيانتهم فينسحبون من صفوف المؤمنين ويثبطون الهمم،ويعتذرون عن رجوعهم بالأعذار الكاذبة التي أظهر الله حقيقتها، ولكن هل تحقق لهؤلاء المنافقين ما كانوا

الجواب الحاضر ؛ ينظر: معرفة الصحابة، ج٣/١٧٠٠ ؛ وتهذيب التهذيب، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢ه) دائرة المعارف النظامية، ط١ (الهند/١٣٢٦ه) ج ٢٧٦/٥.

(١) تفسير القرآن العظيم، ج٣٨٩/٦.

(٢) في ظلال القرآن،ج٢٨٣٩/٥.

يريدون؟ إنهم أرادوا أن يخفوا حقيقتهم عن الرسول -ﷺ- فكشف الله سترهم، وفضح أمرهم، وأرادوا أن يضعفوا شوكة المسلمين بانسحابهم، فأمد الله المسلمين بقوته، وكانوا يطمعون في الغنائم فأفاءها الله على المؤمنين، وباء المنافقون بالخسران والحرمان(١).

٣- (كان جماعة من المنافقين(٢)، يسيرون مع رسول الله ﷺ وهو منطلق إلى تبوك، فقال بعضهم لبعض: (أتحسبون جلاد بني الأصفر كقتال العرب بعضهم بعضاً؟ والله؛ لكأنا بكم غداً مقرنين في الحبال) إرجافاً وترهيباً للمؤمنين، وقال احدهم: (والله لوددت أن أقاضى على أن يضرب كل رجل منا مئة جلدة، وأننا ننجوا أن ينزل فينا قرآن لمقالتكم هذه، وقال رسول الله ﷺ لعمار بن ياسر(٣)ﷺ: (أدرك القوم؛ فإنهم قد احترقوا؛ فاسألهم عما قالوا؛ فإن أنكروا؛ فقل: بلى؛ قلتم كذا وكذا) فانطلق إليهم عمار، فقال ذلك لهم، فأتوا رسول الله -ﷺ- يعتذرون إليه، فقال وديعة بن ثابت(٤)، ورسول الله -ﷺ- واقف على راحلته، فجعل يقول وهو آخذ بحقبها: (يا رسول الله! إنما كنا نخوض ونلعب)(٥).

---

(١) ينظر: القول المبين في سيرة سيد المرسلين، ٢٧٥.

(٢) وهم، وديعة بن ثابت، أحد بني عمرو بن عوف، والجلاس ابن سويد بن الصامت، ومخشي بن حمير من أشجع، وثعلبة بن حاطب ؛ ينظر: المغازي، ج١٠٠٣/٣ ؛ إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، ج٥٣/٢.

(٣) عمار بن ياسر بن كنانة بن قيس بن الحصين بن لوذيم بن ثعلبة بن عوف بن حارثة بن عامر بن يام بن عنس بن مالك بن أدد، حليف لبني مخزوم، يكنى أبا يقظان، قدم البصرة وشهد الجمل وشهد صفين وقتل بها سنة سبع وثلاثين ، وأمه سمية بنت خباط ؛ ينظر: طبقات خليفة بن خياط، ١٣٦.

(٤) وهو وديعة بن ثابت بن زيد بن مالك، وكان ممن بنى مسجد الضرار ؛ ينظر: السيرة النبوية لابن هشام، ج٥٢٣/١.

(٥) السيرة النبوية لابن هشام، ج٥٢٥/٢ ؛ وتخريج أحاديث وآثار كتاب في ظلال القرآن، لسيد قطب، علوي بن عبد القادر السقاف، دار الهجرة للنشر والتوزيع، ط٢ (١٤١٦هـ/١٩٩٥م) ٢٦٢.

٤- تثبيطهم للمقاتلين عند خروجهم للجهاد في سبيل الله تعالى محاولة منهم لزعزعة الصف،(قال قوم من المنافقين بعضهم لبعض: لا تنفروا في الحر، زهادة في الجهاد، وشكّا في الحق، وإرجافا برسول الله ﷺ)[١]، فأنزل الله ﷻ: ﴿ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ ﴾[٢]، ﴿ وَقَالُوا لا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ ﴾ أي قال بعضهم لبعض ذلك، ﴿ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ ﴾ قل لهم يا محمد نار جهنم ﴿ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴾ أي من ترك أمر الله تعرض لتلك النار[٣].

٥- بلغ رسول الله -ﷺ-، أن ناسا من المنافقين يجتمعون في بيت سويلم اليهودي وكان بيته عند جاسوم[٤]، يثبطون الناس عن تبوك، فبعث -ﷺ- طلحة بن عبيد الله[٥]، في نفر وأمره أن يحرق عليهم بيت سويلم، ففعل، واقتحم أصحابه البيت، البيت، فأفلتوا[٦].

---

(١) المغازي، ج٣/٩٩٣ ؛ ونضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ، ج١ /٣٨٨-٣٩٠.

(٢) سورة التوبة: الآية ٨١.

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، ج٨/ ٢١٦.

(٤) جاسوم: هو اسم موضع، ولا يعرف اليوم بالمدينة مكان بهذا الاسم ؛ ينظر: معجم المعالم الجغرافية في السير النبوية، عاتق بن غيث بن زوير بن زاير بن حمود بن عطية بن صالح البلادي الحربي (ت:١٤٣١هـ) دار مكة للنشر والتوزيع، ط١ (مكة المكرمة/١٤٠٢هـ /١٩٨٢م) ٧٨.

(٥) طلحة بن عبيد الله أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، كان ممن سبق إلى الإسلام، وأوذي في الله، ثم هاجر، وفي رسول الله -ﷺ- يوم أحد، وقتل في معركة الجمل، ويقال ان الذي قتله مروان بن الحكم ؛ ينظر: تاريخ الثقات، ٢٣٤-٢٣٥.

(٦) ينظر: جوامع السيرة النبوية، ٢٥٠؛ والبداية والنهاية، ج٧/٥؛ والتراتيب الإدارية والعمالات والعمالات والصناعات والمتاجر والحالة العلمية التي كانت على عهد تأسيس المدنية الإسلامية في المدينة المنورة العلمية، محمد عبد الحي بن عبد الكبير ابن محمد الحسني الإدريسي المعروف بعبد الحي الكتاني (ت:١٣٨٢هـ) تحقيق: عبد الله الخالدي، دار الأرقم، ط٢ (بيروت) ج١/٢٥٥.

يتضح مما سبق أنه كان في جيش المسلمين جماعة من المنافقين لا يعلمهم الرسول -ﷺ- وقد وقف هؤلاء المنافقون -كعادتهم من المسلمين- موقف اللؤم والخيانة، ولا ريب أن عمر النفاق قصير، وأساليبه وحيله لا تخفى على العقلاء أمدًا طويلًا، ومهما بالغ المنافقون في ستر حقيقتهم فإنهم لدى الاختبار يخفقون في الميدان، ولا يثبتون أمام الشدائد(١).

المطلب الثاني

الاستهزاء والسخرية

ان كل الأنبياء ساروا في منهج الدعوة إلى توحيد الله وعبادته قد واجهتهم أقوامهم – إلاّ من هدى الله – بالسخرية والتكذيب والاستهزاء، كما قال تعالى: ﴿ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٧﴾ ﴾(٢) (وما أشد التكذيب والاستهزاء والسخرية على النفوس المؤمنة الأبية، إنها أشد عليهم من وقع السيوف ومن السجون والتعذيب ومن أذى المشركين بل وحتى من المعارك الطاحنة التي تزهق فيها الأرواح وتراق فيها دماء أصحابهم الزكية)(٣)، ومن السخرية والاستهزاء ما يأتي :

١- (في غزوة تبوك كان المنافقون يتحدثون فيما بينهم بالسخرية والاستهزاء من النبي ﷺ وصحابته، فصور لنا القرآن ذلك فقال ﷻ: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾(٤) ﴿ولئن سألتهم﴾ عمَّا كانوا فيه من الاستهزاء ﴿ليقولنَّ إنما كنا نخوض

(١) ينظر: القول المبين في سيرة سيد المرسلين، ٢٧٥.

(٢) سورة الزخرف: الآيتان٦-٧.

(٣) منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله فيه الحكمة والعقل، ربيع بن هادي المدخلي، مكتبة الفرقان (عجمان/١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م) ٤٧.

(٤) سورة التوبة: الآيتان ٦٥-٦٦.

ونلعب﴾ وذلك أنَّ رجلاً من المنافقين قال في غزوة تبوك: (ما رأيتُ مثل هؤلاء أرغبَ بطوناً ولا أكذبَ ألسنا ولا أجبنَ عند اللقاء)[١] يعني: رسول الله -ﷺ- والمؤمنين، وإذا تأملت وجدت أن هذا ينطبق على المنافقين تماماً، لا على المؤمنين، فالمنافقون من أشد الناس حرصاً على الحياة، والمنافقون من أكذب الناس ألسناً، والمنافقون من أجبن الناس عند اللقاء، فهذا الوصف حقيقته في هؤلاء المنافقين، فأُخبر رسولُ الله -ﷺ- بذلك فجاء هذا القائل ليعتذر فوجد القرآن قد سبقه فقال: (يا رسول الله إنما كنَّا نخوض ونلعب ونتحدث بحديث الرَّكب نقطع به عنا الطريق وهو معنى قوله: ﴿ **كُنَّا نَخُوضُ**﴾ أَي: في الباطل من الكلام كما يخوض الركب فقالَ لَه رَسول الله -ﷺ-: ﴿**أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ** ﴾ ﴿ **لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ** ﴾ أَي: ظهر كفركم بعد إظهاركم الإِيمان ﴿ **إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً** ﴾ وذلك أنَّهم كانوا ثلاثة نفر فهزئ اثنان وضحك واحد وهو المعفو عنه فلمَّا نزلت هذه الآية برئ من النِّفاق)[٢].

٢- (بينما رسول الله -ﷺ- يسير في غزوة تبوك وركب من المنافقين يسيرون بين يديه فقالوا (انظروا إلى هذا الرجل يريد أن يفتح قصور الشام وحصونه هيهات) فأطلع الله نبيه على ذلك فقال (احبسوا علي الركب) فأتاهم فقال (قلتم كذا وكذا) فقالوا: (يا نبي الله لا والله ما كنا في شيء من أمرك ولا من أمر

---

(١) شمائل الرسول -ﷺ- أحمد بن عبد الفتاح زواوي، دار القمة (الإسكندرية) ج١٢٩/٢؛ وإذهاب الحزن وشفاء الصدر السقيم، عبد السلام مقبل مجبري، دار الإيمان (القاهرة) ٣٥٠.

(٢) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري الشافعي (ت:٤٦٨هـ) تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، الدار الشامية، ط١ (دمشق/بيروت/١٤١٥هـ) ٤٧١؛ وشرح رياض الصالحين، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت:١٤٢١هـ) دار الوطن للنشر (الرياض/١٤٢٦هـ) ج١٠٠/٢-١٠١.

أصحابك ولكن كنا في شيء مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر)[١].

٣- (كان عثمان بن عفان[٢] أكثر المنفقين على جيش العسرة استجابة لقول النبي ﷺ (من جهز جيش العسرة فله الجنة)[٣]، وتواترت الأخبار الصحيحة بأن عثمان بن عفان -رضي الله عنه- قد تحمل نفقات جيش العسرة، فلقد سارع بتقديم ألف دينار في بداية الاستعدادات صبها في حجر النبي -ﷺ- كما قدم أموالا أخرى تتمثل في الجمال والعدد التي يحتاج إليها في نقل الجيش والحرب، وساهم عبد الرحمن بن عوف في تحمل قسط من نفقات الجيش حين قدم نصف أمواله حينذاك وبلغت مساهمته في حدود ألفي درهم، كما قدم عمر بن الخطاب[٤] مائة أوقية،

---

(١) تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري، جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف ابن محمد الزيلعي (ت:٧٦٢هـ) تحقيق: عبدالله بن عبد الرحمن السعد، دار ابن خزيمة، ط١ (الرياض/١٤١٤هـ) باب سورة التوبة، رقم الحديث: (٥٥٤) ج٢ /٧٩.

(٢) هو الصحابي الجليل عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب وكان له ثلاث كنى أبو عمرو وأبو عبد الله وأبو ليلى، وأم عثمان أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس توفي بعد أن حوصر يوم الجمعة لليلة مضت من ذي القعدة وبقى في الحصار تسعة وأربعين يوما يذود عنه علي بن أبى طالب في بنى هاشم وطلحة والزبير فيمن اطاعهما من قريش إلى أن تسلق عليه سودان بن حمران المرادي بالليل فقتله وهو يقرأ سورة البقرة، فكانت خلافته اثنتي عشرة سنة إلا اثنى عشر يوما صلى عليه بين المغرب والعشاء جبير بن مطعم وذلك ليلة السبت لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ذي الحجة ودلته في قبره نائلة وأم البنين ؛ ينظر: مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد التميمي أبو حاتم الدارمي البستي (ت:٣٥٤هـ) حققه ووثقه وعلق عليه: مرزوق على ابراهيم، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ط١(المنصورة /١٤١١هـ/١٩٩١م) ٢٤.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجمعة، باب مناقب عثمان بن عفان-رضي الله عنه-، رقم الحديث: (٣٦٩٤) ج٥/١٣.

(٤) هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي القرشي العدوي، كنيته: أبو حفص، وأمه حنتمة بنت هاشم بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم،= =ولد بعد الفيل بثلاث عشرة سنة، وكان من

ولا شك في أن عددا آخر من الصحابة قد ساهموا في تغطية بقية النفقات كل على قدر طاقته، والدليل على ذلك أن فقراء المسلمين قدموا ما قدروا عليه من النفقة، رغم بساطته وقلته، على استحياء منهم فقد جاء أحدهم بصاع من تمر، وجاء آخر بنصف صاع منه، مما عرضهم لسخرية ولمز المنافقين، فأنزل الله ﷻ قوله الكريم: ﴿ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[1] الذين يلمزون المطوّعين في الصدقة على أهل المسكنة والحاجة، بما لم يوجبه الله عليهم في أموالهم، ويطعنون فيها عليهم بقولهم: (إنما تصدقوا به رياءاً وسُمعة، ولم يريدوا وجه الله) ويلمزون الذين لا يجدون ما يتصدَّقون به إلا جهدهم، وذلك طاقتهم، فينتقصونهم ويقولون: (لقد كان الله عن صدقة هؤلاء غنيًّا!) سخريةً منهم بهم، فهم يتهمون أغنياء المسلمين بالرياء، في نفس الوقت الذي يسخرون فيه من صدقة الفقراء القليلة، فقد رد على المنافقين لمزهم فقراء الصحابة واستهزائهم بهم[2].

يتضح مما سبق ان هناك طبقات متعددة من الأمة ومنهم المنافقون تكره هذا الدين وتستخدم سلاح السخرية والاستهزاء لمعارضة النبي والرسالة، فالحرص

أشراف قريش، تولى الخلافة بعد وفاة سيدنا ابي بكر الصديق -رضي الله عنه- وفي سنة ثلاث وعشرين للهجرة قتل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بعدما طعنه أبو لؤلؤة المجوسي لأربع بقين من ذي الحجة وعاش ثلاثة أيام ومات آخر يوم من ذي الحجة، وكانت خلافته عشر سنين وستة أشهر وسبعة أيام ينظر: تاريخ مولد العلماء ووفياتهم، أبو سليمان محمد بن عبد الله بن أحمد بن ربيعة بن سليمان بن خالد بن عبد الرحمن بن زبر الربعي (ت:٣٧٩ه) تحقيق: عبد الله أحمد سليمان الحمد، دار العاصمة، ط١ (الرياض/١٤١٠ه) ج١/١٠٩ ؛ وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٣/٦٤٢.

(١) سورة التوبة: الآية ٧٩.

(٢) ينظر: السيرة النبوية لابن هشام، ج٢/٥٥١ ؛ وجامع البيان في تأويل القرآن، ج١٤/٣٨٢ ؛ والسيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، ٨٤٧.

الشديد لأعداء الله على طمس وتشويه صورة الإسلام الناصعة أمر لا يجادل فيه إلا مكابر، لذا لا غَرْوَ إذا استخدمت السخرية والهزء سلاحاً فتاكاً لتشويه هذه الصورة ونشر الضباب المعتم على وجهها المشرق، ولكن الله متم نوره ولو كره الكافرون.

المطلب الثالث

محاولة اغتيال النبي -ﷺ-

كل من تسول له نفسه أن يؤذي رسول الله ﷺ قد توعده رب العزة- تبارك وتعالى بأشد أنواع العذاب، لأنه -ﷻ- عاصم نبيه وحافظه من كل سوء، فمقامه ﷺ التعظيم، وليس الإيذاء أو الانتقاص، قال -ﷻ-: ﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[1] لقد أوردت هذه الآية ردا على من قد يتوهم أن الوعيد متوجه لمن يؤذى الله ورسوله معا، فالأمر ليس كذلك، ففي الآية تخويف ووعيد لكل من يتجرأ على السنة وصاحبها -ﷺ- بغمز أو لمز، تصريحا كان أو تعريضا، صغيرا أو كبيرا؛ لأن الآية أطلقت، ولم تحدد نوع الإيذاء ولا حجمه، فيدخل فيه كل ما ذكر، وهذا تعظيم وحماية لجانب النبوة[2].

نعم، فالنفاق داء عضال وسلاح فتاك قتال، إنه مدمر للفؤاد، يقلب تصوراته، فيرى الأمور منكوسة لانتكاسه، كما يراها معكوسة لانعكاسه، إن اسمه لا يكتب على الجبين، ولكن علاماته لأهل الإيمان تظهر وتبين، إن بغض الدين وأهله أعظم ميزة وعلامة للمنافقين، وإن تستروا بظواهر يخادعون بها المؤمنين، وقد كره المنافقون نبينا محمداً -ﷺ- وعارضوه بكل أنواع المعارضة وعلى كافة الاصعدة، وقد فضحهم الله وكشف أستارهم، حتى تجلت لأهل الإيمان مكنوناتهم وأسرارهم[3]،

---

(١) سورة التوبة: الآيتان ٦٠-٦١.

(٢) ينظر: شمائل الرسول -ﷺ-، ج٣٢/٢.

(٣) ينظر: جالب السرور لربات الخدور، أبو محمد عبد الكريم بن صالح بن عبد الكريم الحميد، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، ط٢ (المملكة العربية السعودية/١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م) ٥٧.

(وكان لمعارضة المنافقين السياسية للنبي -ﷺ- علامات وأمارات واضحة ولعل منها ومما ورد في ذلك عن صلة بن زفر[١] قال: (قلنا لحذيفة[٢] -رضي الله عنه-: (كيف عرفت المنافقين ولم يعرفهم أحد من أصحاب رسول الله -ﷺ- أبو بكر ولا عمر؟ قال: إني كنت أسير خلف رسول الله -ﷺ- فنام على راحلته فسمعت ناسا منهم يقولون: لو طرحناه عن راحلته فاندقت عنقه فاسترحنا منه، فسرت بينه وبينهم وجعلت أقرأ وأرفع صوتي فانتبه النبي -ﷺ- فقال: من هذا؟ فقلت: حذيفة، قال: من هؤلاء خلفك؟ قلت: فلان وفلان حتى عددت أسماءهم. قال: وسمعت ما قالوا؟ قلت: نعم؛ ولذلك سرت بينك وبينهم فقال: إن هؤلاء فلانا وفلانا، حتى عدد أسماءهم، منافقون، لا تخبرن أحدا)[٣].

وانه لما تمت أمور تبوك، وتحولت إلى دعاية إسلامية صادقة، ولم تكن معركة قتال ينفثون فيها سموم التردد والهزيمة، ووجدوا النبي -ﷺ- راجعا بجيش العسرة، وهو في يسر وأمن وسلام واطمئنان ائتمر المنافقون بالرسول -ﷺ- ومكروا محاولين أن يطرحوه من عقبة عالية في الطريق، ولكن الله -ﷻ- أعلمه بما بيتوا، فلما بلغها -ﷺ- أمر الجند أن يسيروا في بطن الوادي، وقال: من شاء منكم أن يأخذ

---

(١) صلة بن زفر أبو العلاء العبسي الكوفي، قال عنه حذيفة بن اليمان -رضي الله عنه-: (قلب صلة بن زفر من ذهب) يعني أنه منور كالذهب، توفي صلة بن زفر بالكوفة في زمن مصعب بن الزبير ؛ ينظر: الطبقات الكبرى، ج٦/٢٢٩ ؛ ومعرفة الثقات من رجال أهل العلم والحديث ومن الضعفاء وذكر مذاهبهم وأخبارهم، أبو الحسن= =أحمد بن عبد الله بن صالح العجلي الكوفي (ت:٢٦١ه) تحقيق: عبد العليم عبد العظيم البستوي، مكتبة الدار، ط١ (المدينة المنورة/١٤٠٥ه/١٩٨٥م) ج١/٤٦٩.

(٢) هو حذيفة بن اليمان أبو عبد الله العبسي من أصحاب النبي -ﷺ-، كان أميرًا على المدائن، استعمله عمر رضي الله عنه، ومات بعد قتل عثمان -رضي الله عنه- بأربعين يومًا، سكن الكوفة، وكان صاحب سر رسول الله -ﷺ- ومناقبه كثيرة مشهورة، وهو حليف بني عبد الأشهل، مات بالمدائن قبل الجمل؛ ينظر: تاريخ الثقات، أبو الحسن أحمد ابن عبد الله بن صالح العجلي الكوفي (ت:٢٦١ه) دار الباز، ط١ (١٤٠٥ه/١٩٨٤م) ١١١.

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، حذيفة بن اليمان يكنى ابا عبد الله العبسي، رقم الحديث: (٣٠١٥) ج٣/١٦٥، ضعفه جماعة من العلماء.

بطن الوادي، فإنه أوسع لكم، وأخذ رسول الله -ﷺ- العقبة، وأخذ المسلمون وكل الجيش بطن الوادي إلا الذين ائتمروا، وبيتوا الشر، فقد أخذوا العقبة التي أخذها النبي -ﷺ-، لينفذوا ما مكروا به، لقد علم النبي -ﷺ- مكرهم الخبيث، إن أولئك المنافقين لما علموا ما اتخذه النبي -ﷺ- لنفسه من طريق استعدوا وتلثموا، فأخفوا وجوههم لكيلا يعرفوا، فعرفوا بذلك التلثم الذى أرادوا أن يستتروا به، فكشفهم المسلمون به، لقد هموا بأمر عظيم، وهو أن يطرحوا رسول الله -ﷺ- من فوق العقبة فأمر رسول الله -ﷺ- أن يلازمه عمار بن ياسر، وحذيفة بن اليمان، وأن يمشيا أمامه، على أن يأخذ عمار بن ياسر بزمام الناقة، وأمر حذيفة بسوقها، وبينما رسول الله -ﷺ- في سيره هو ومن معه سمعوا وكز أولئك الذين تامروا لركائبهم، وتدفعها عليهم، وقد أدرك النبي -ﷺ- ماذا يريدون حسا، بعد أن علم بنياتهم من الله، وقد ساروا وراءهم من غير أن يعلموا، وظنوا أنهم مدركون ما يريدون، فأمر رسول الله -ﷺ- حذيفة، وهو الذى يسوق الدابة أن يردهم، وأبصر حذيفة غضب رسول الله -ﷺ-، وبدا ما يتوقعه -ﷺ- من شرهم في وجهه، فرجع حذيفة، ومعه المجن، رآهم حذيفة ملثمين، واستقبل وجوه رواحلهم فضربها في وجوهها بالمجن ضربا، وأبصر القوم وهم ملثمون، وظن أن ذلك فعل المسافر، يتقى باللثام حر الشمس، أو حرور الهواء، ولكن المتآمرين فزعوا واضطربوا بإفزاع الله -ﷻ-، شأن من يريد جريمة ويشرع فيها إذ أنه يضطرب عندما يظن أن أمره قد كشف، فيفزع من تتميمها ويتراجع، ولذلك أسرع أولئك الملثمون المتآمرون إلى الاندماج في وسط الناس في بطن الوادي وأبطل الله -ﷻ- كيدهم، بعد ذلك رجع حذيفة إلى رسول الله -ﷺ-، فلما أدركه، قال له الرسول -ﷺ-: اضرب الراحلة يا حذيفة، وامش يا عمار، فأسرعوا حتى استووا بأعلاها، ثم بعد ذلك خرجوا من العقبة، وهم ينتظرون الناس، قال رسول الله -ﷺ- لحذيفة وهو الذى كان يسوق الناقة اذهب، وأرسله النبي -ﷺ- فذهب إليهم ومن معهم، وتبين به أنه انكشف أمرهم قال الرسول -ﷺ- له: هل عرفت من هؤلاء الركب أحدا؟ قال حذيفة: عرفت راحلة فلان، وفلان، وكانت ظلمة الليل، قد غشيتهم وهم ملثمون، قال رسول -ﷺ-: هل علمتهم ما كان شأن الركب وما أرادوا، قال: لا يا رسول الله، قال: فإنهم مكروا

ليسيروا ورائي، حتى إذا طلعت إلى العقبة طرحوني منها، قال: إذن نضرب أعناقهم، قال: أكره أن يتحدث الناس، أن يقولوا: إن محمدا قد وضع يده في أصحابه أي بالقتل(١).

يتضح مما سبق أن الله عصم نبيه ﷺ من كيد الكائدين وشر الاشرار، فقال ﷻ: ﴿ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ ﴾(٢)، (وقد نزلت هذه الآية في بعض غزواته -ﷺ-، وذلك أن النبي -ﷺ- كان يحرس كل ليلة، وكان رسول الله -ﷺ- في خيمة من أدم، فباتوا على باب الخيمة، فلما أن كان بعد هزيع من الليل أنزل الله عليه الآية، فأخرج رسول الله -ﷺ- رأسه من الخيمة فقال: يا أيها الناس، انصرفوا فقد عصمني الله)(٣).

المطلب الرابع

ضرب الوحدة الاسلامية

لقد عمد المنافقون على تمزيق وحدة المسلمين وبث الفرقة بينهم، واتبعوا في ذلك شتى الاساليب، وما ذلك الا اعتراضا منهم على دولة الاسلام وشخص قائدها محمد -ﷺ-، ولكن القيادة السديدة الحكيمة للنبي -ﷺ- حالت دون ذلك، وهذا ما نراه واضحاً فيما يأتي:

---

(١) ينظر: خاتم النبيين -ﷺ-، ج٣/٩٦٧.

(٢) سورة المائدة : جزء من الآية ٦٧.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه ابن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (ت:٤٠٥هـ) تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، ط١ (بيروت/١٤١١هـ /١٩٩٠م) رقم الحديث: (٣٢٢١) ج٢/٣٤٢؛ والترمذي في الجامع الكبير (سنن الترمذي) محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك الترمذي أبو عيسى (ت:٢٧٩ه) تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي (بيروت/١٩٩٨م) أبواب تفسير القرآن عن رسول الله -ﷺ-، باب ومن سورة المائدة، ج٥/١٠١، قال الشيخ الألباني: (حديث حسن).

١- (في غزوة بني المصطلق (المريسيع)[١] كشف المنافقون عن مدى حقدهم على الإسلام والمسلمين، فقد ازدادوا غيظا بالنصر الذي تحقق على بني المصطلق، وسعوا في بادئ الأمر إلى إثارة العصبية القبلية بين المهاجرين والأنصار، فلما فشلت المحاولة، عمل عبد الله بن أبي بن سلول على عرقلة جهود الرسول ﷺ في الدعوة، وعلى منع الأموال من أن تدفع لأجل ذلك بغية أن ينفض الناس من حول رسول الله ﷺ، وتوعد بإخراجه ذليلا من المدينة عند العودة إلى المدينة)[٢]، فعن عمرو بن دينار أنه سمع جابرا ﷺ يقول: (غزونا مع النبيﷺ وقد ثاب معه ناس من المهاجرين حتى كثروا وكان من المهاجرين رجل لعاب فكسع أنصاريا فغضب الأنصاري غضبا شديدا حتى تداعوا وقال الأنصاري: يا للأنصار وقال المهاجري: يا للمهاجرين فخرج النبي -ﷺ- فقال: ما بال دعوى أهل الجاهلية، ثم قال: ما شأنهم، فأخبر، بكسعة المهاجري الأنصاري، قال فقال النبي -ﷺ-: دعوها فإنها خبيثة وقال عبد الله بن أبي ابن سلول أقد تداعوا علينا لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، فقال عمر ألا نقتل يا رسول الله هذا الخبيث لعبد الله فقال النبي -ﷺ-: لا يتحدث الناس أنه كان يقتل أصحابه)[٣]، وكان مما ظهر من كلامه (ابن سلول) وسمع منه أن قال: (والله، ما رأيت كاليوم مذلة! والله، إن كنت لكارها لوجهي هذا ولكن قومي غلبوني! قد فعلوها، قد نافرونا وكاثرونا في بلدنا، وأنكروا منتنا، والله، ما صرنا وجلابيب قريش هذه إلا كما قال القائل: (سمن كلبك يأكلك) والله، لقد

(١) بنو المصطلق هم بنو جذيمة بن كعب من خزاعة، فجذيمة هو المصطلق وهو مفتعل من الصلق وهو رفع الصوت، والمريسيع: هو ماء لخزاعة وهو من قولهم رسعت عين الرجل إذا دمعت من فساد ؛ ينظر: الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، ج٧/ ١٨.

(٢) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم -ﷺ-، ج٣٢١/١.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجمعة، باب ما ينهى من دعوة الجاهلية، رقم الحديث: (٣٥١٨) ج١٨٣/٤-٨٤

ظننت أني سأموت قبل أن أسمع هاتفا يهتف بما هتف به جهجاه[١] وأنا حاضر، لا يكون لذلك مني غير، والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل! ثم أقبل على من حضر من قومه فقال: هذا ما فعلتم بأنفسكم، أحللتموهم بلادكم فنزلوا منازلكم، وآسيتموهم في أموالكم حتى استغنوا! أما والله، لو أمسكتم بأيديكم لتحولوا إلى غير بلادكم، ثم لم يرضوا بما فعلتم حتى جعلتم أنفسكم أغراضا للمنايا، فقتلتم دونه، فأيتمتم أولادكم وقللتم وكثروا)[٢].

٢- وحاولوا شق الصف، فعن سعد بن أبي وقاص-رضي الله عنه- يقول: (لما خرج رسول الله -ﷺ- من المدينة إلى تبوك خلف علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- فأتاه بالجرف يحمل سلاحه فقال: يا رسول الله أتخلفني بعدك ولم أتخلف عنك في غزاة قط قال: (يا علي ارجع) فقال: يا رسول الله: إن المنافقين يزعمون أنك ما خلفتني إلا استثقالا بي قال: (يا علي أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي، ارجع فاخلفني في أهلي وأهلك)[٣].

---

(١) جهجاه بن سعيد الغفاري المديني، كان له صحبة مع النبي -ﷺ-، وكان من فقراء المهاجرين، مات بعد عثمان بن عفان بأقل من سنة ؛ ينظر: التاريخ الكبير، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري أبو عبد الله (ت:٢٥٦هـ) دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد، طبع تحت مراقبة: محمد عبد المعيد خان، ج٢/٢٤٩؛ والثقات، ج٣/٦١.

(٢) المغازي، ج٢/٤١٦-٤١٧ ؛ وودلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، ج٤/٥٣.

(٣) السنة، أبو بكر بن أبي عاصم وهو أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني (ت:٢٨٧هـ) تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط١ (بيروت/١٤٠٠هـ) باب ما ذكر في فضل علي -رضي الله عنه- رقم الحديث: (١٣٣٢) ج٢/٦٠٠ ؛ المسند للشاشي، أبو سعيد الهيثم بن كليب بن سريج بن معقل الشاشي البنكثي (ت:٣٣٥هـ) تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، مكتبة العلوم والحكم، ط١ (المدينة المنورة/١٤١٠هـ) رقم الحديث: (١٣٤) ج١/١٨٦.

٣- وبنوا مسجد الضرار، ففي غزوة تبوك جاءه -ﷺ- خبر مسجد الضرار من السماء، فأمر -ﷺ- اثنين من أصحابه[١] لينطلقوا إليه ويهدموه، فقال: (انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدماه وحرقاه)[٢]، فخرجا فحرقاه وهدماه.

(فبرغم ما رآه هؤلاء المنافقون من نجاح رسول الله -ﷺ- في كل الميادين، وأنه لا يوجل من سلطان على ظهر الأرض، بل يذيب كل ما يعترض في طريقه من عوائق، برغم هذا كله طفق هؤلاء المنافقون يأملون في تحقق ما كانوا يخفونه في صدورهم، وما كانوا يتربصونه من الشر بالإسلام وأهله، ونظرا إلى قرب تحقق آمالهم أنشأوا وكرة للدس والتآمر، في صورة مسجد، وهو مسجد الضرار، أسسوه كفرا وتفريقا بين المؤمن وإرصادا لمن حارب الله)[٣].

(هذا المسجد بناه المنافقون مضاهاة لمسجد قباء، فكانوا يجتمعون فيه ويعيبون النبي ﷺ ويستهزئون به)[٤] (ولا يزال أعداء الإسلام من المنافقين الملحدين والمبشرين والمستعمرين يقيمون أماكن باسم العبادة وما هي لها، وإنما المراد بها الطعن في الإسلام وتشكيك المسلمين في معتقداتهم وادابهم، وكذلك يقيمون مدارس باسم الدرس والتعليم ليتوصلوا بها إلى بث سمومهم بين أبناء المسلمين، وصرفهم

---

(١) وهما مالك بن الخشم ومعن بن عدي، ينظر: دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، ج٢٦٠/٥؛ وتاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ج٦٤٨/٢؛ ومختصر سيرة الرسول -ﷺ-، ٢٣٢.

(٢) دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، ج٢٦٠/٥ ؛ والدرة الثمينة في أخبار المدينة، محب الدين أبو عبد الله محمد بن محمود بن الحسن المعروف بابن النجار (ت:٦٤٣هـ) تحقيق: حسين محمد علي شكري، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، ١٢٩ ؛ والتراتيب الإدارية والعمالات والصناعات والمتاجر والحالة العلمية التي كانت على عهد تأسيس المدنية الإسلامية في المدينة المنورة العلمية، ج٢٥٥/١.

(٣) الرحيق المختوم، ٣٩٥.

(٤) الدرة الثمينة في أخبار المدينة، ١٢٩ ؛ وشفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، محمد بن أحمد بن علي تقي الدين أبو الطيب المكي الحسني الفاسي (ت:٨٣٢هـ) دار الكتب العلمية، ط١ (١٤٢١هـ/٢٠٠٠) ج٤٤٥/٢.

عن دينهم، وكذلك يقيمون المنتديات باسم نشر الثقافة والغرض منها خلخلة العقيدة السليمة من القلوب، والقيم الخلقية من النفوس)[١].

يتضح مما سبق أن وحدة المسلمين هي الخط الاحمر الذي بانتهاكه يضعف المسلمون، وبقوته تكون عوامل التقدم والازدهار متاحة، ولهذا كله نرى ان المنافقين وغيرهم قد حاولوا ان يلتفوا على تلك الوحدة، بل وحاولوا استئصالها بما أوتوا من قوة كي يصلوا الى مراميهم الآثمة؛ وأنهم مهما حاكوا من مؤامرات في ظلمات الليالي فهو منكشف ومفضوح ولا ينطلي على أمة لها من الأصالة والعراقة ما لأمة سيدنا محمد -ﷺ-.

المطلب الخامس

التسقيط السياسي

لقد فشلت محاولات التشويه والحرب الإعلامية، والحجر الفكري الذي كان المنافقون يمارسونه على الدعوة الإسلامية في بداية عهدها متمثلة بنبينا محمد -ﷺ- لأن صوت رسول الله -ﷺ- كان أقوى من أصواتهم، ووسائله في التبليغ كانت أبلغ من وسائلهم، وثباته على مبدئه السامي، كان أعلى بكثير مما كان يتوقعه أعداؤه، فالرسول -ﷺ- لم يجلس في بيته، ولم ينزو في زاوية من زوايا المسجد الحرام، ليستخفي بدعوته، وليقي نفسه من سهام أعدائه المسمومة، بل إنه غامر بنفسه، فكان يخرج في مضارب العرب، قبل أن يفدوا مكة، وكان يجهر بتلاوة القرآن في المسجد الحرام، ليسمع من كان في قلبه بقية من حياة، وأثارة من حرية وإباء، فيتسرب نور الهدى إلى مجامع لبه، وسويداء قلبه وهذا دليل قاطع، وبرهان ساطع، على فشل حملات التشويه التي شنها المنافقون ضد رسول الله -ﷺ-[٢].

ويظهر ان حادثة الافك كانت جزءاً من مؤامرة شاملة خطط لها أعداء الإسلام وروجها المنافقون من أجل تقويض المجتمع الإسلامي، وتشويه صورة القيادة

(١) السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، ج٢/٥٠٨.

(٢) ينظر: السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، ١٤٣.

المحمدية، ومن هنا كان إثبات براءة السيدة عائشة[١] – رضي الله عنها–، وظهور طهارة بيت النبوة في قرآن يتلى، ويبقى ثابتًا على طول الزمن من المبادئ الهامة التي لا بد منها لصيانة المجتمع من الشائعات، وبخاصة تلك التي تتصل بالريادة المؤمنة التي يتأسى بها سائر الناس ولتبق القيادة المسلمة في كل آن مثالا عاليًا للطهارة، والخلق الكريم[٢].

(فلقد كادت حادثة الإفك أن تحقق للمنافقين ما كانوا يسعون إلى تحقيقه من هدم وحدة المسلمين وزعزعة عقيدتهم في النبي –ﷺ–، وإشعال نار الفتنة بين المسلمين، ولكن الله سلّم فقد تمكّن الرسول القائد –ﷺ– من قيادة الأمة بكفاءة وهو في تلك الظروف الحالكة لتجتاز الامتحان الصعب، ويصل بها بأمان إلى شاطئ السلامة)[٣].

ويتضح مما سبق (ان قصة الإفك حلقة فريدة من سلسلة فنون الإيذاء والمحن التي لقيها رسول الله –ﷺ– من أعداء الدين، ولقد كانت هذه الأذيّة أشد في وقعها على نفسه –ﷺ– من كل تلك المحن السابقة، وتلك هي طبيعة الشر الذي يصدر من المنافقين، فهو دائما يكون أقسى من غيره وأبلغ في المكيدة والضرر، إذ تكون الفرص والأسباب خاضعة لهم أكثر من غيرهم، وخبر الإفك صورة فريدة للأذى الذي تفرد به المنافقون، وإنما كانت هذه القصة أبلغ من غيرها في إيذاء النبي ﷺ، لأن كل ما كان قد كابده قبل ذلك من المحن التي تحدثنا عن طرف منها، أمور كان يتوقعها، وقد وطن نفسه لقبولها وتحملها، بل كان منها على ميعاد في طريق الدعوة، أما هذه فقد فوجئ بها، لأنها ليس مما قد اعتاده، أو توقعه، إنها اليوم شيء

(١) هي ام المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق، الصديقة بنت الصديق، زوج النبي ﷺوأشهر نسائه، وأمها أم رومان ابنة عامر الكنانية، وما كان يشكل على أصحاب رسول الله ﷺ شيء فسألوا عنه عائشة إلا وجدوه ؛ ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج١٨٨/٦ ؛ وطبقات الفقهاء، إبراهيم بن علي الشيرازي (ت:٤٧٦هـ) تحقيق: إحسان عباس، دار الرائد العربي، ط١ (بيروت/١٩٧٠م) ج٤٧/١.

(٢) ينظر: السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني،١٦٦.

(٣) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم –ﷺ–، ج٣٢٢/١.

آخر، إنها شائعة، لو صحت لكانت طعنة نجلاء في أخص ما يعتز به إنسان، أخصّ ما يتصف به الشرف والكرامة، وما الذي أدراه أنها شائعة صحيحة أو باطلة؟! من هنا كانت هذه الأذية أبلغ في تأثيرها من كل ما عداها، لأنها جاءت لتلقي بشعوره النفساني في اضطراب مثير لا مناص منه، ومع ذلك فلو أن الوحي سارع إلى كشف الحقيقة وفضح إفك المنافقين لكان في ذلك مخلص من هذا الاضطراب والشكوك المثيرة، ولكن الوحي تلبث أكثر من شهر لا يعلّق على ذلك، فكان ذلك مصدرا آخر للقلق والشكوك)[١].

المطلب السادس

استعانة المنافقين باليهود

(ان مواقف المنافقين المتمردة الخارجة على الدولة الإسلامية وعلى العهد الذي التزمت به حيال المسلمين وهذه المواقف العدائية من المنافقين تدل على خطر النفاق وخبثه، وأنه يحمل أصحابه على اتخاذ جميع الوسائل الممكنة للحيلولة دون تقدم دعوة الإسلام وانتصاره)[٢]، وتظاهرهم بالإسلام له أسباب كثيرة ترجع إلى حب الشهوات أو تأثير الشبهات، فشهوة حب الحياة والخوف على أنفسهم من القتل أو السبي، والخوف على المنصب والرياسة والجاه والزعامة تجعله ينافق، وكذلك شهوة حب حظوظ الدنيا والطمع في الغنائم إذا انتصر المسلمون في حروبهم، أما الشبهات فإن بعض المنافقين كان أول أمره مؤمنا لكن الإيمان لم يخالط بشاشة قلبه، يعبد الله على شفا جرف هار، فإذا جاءت فتنة أو حلت بالمؤمنين نكبة نافق، وسأبحث صورا من ذلك التعامل وكالآتي:

١- (ان قوما من المنافقين وممن في قلوبهم مرض وضعف يقين وقلة بصيرة كانوا يمالئون اليهود ويتوددون إليهم، فيقال لهم: (لا تفعلوا هذا، فيقولون: الصواب لنا

---

(١) فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة، محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر، ط٢٥ (دمشق/١٤٢٦هـ) ٢١٠.

(٢) مرويات غزوة بني المصطلق وهي غزوة المريسيع، إبراهيم بن إبراهيم قريبي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة (المملكة العربية السعودية) ١٦٧.

ولكل عاقل أن يفعل ذلك، فإنا لا نأمن أن يكون لليهود دولة فيصيبنا منهم دائرة، وهم كثرة ولهم نجدة وبأس وشدة)[١]، فأنزل الله -ﷻ-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[٢]، (فهذه الآية نزلت بحق المنافقين الذين يوازون يهود قريظة ونصارى نجران؛ لأنهم كانوا أهل ريف، وكانوا يميرونهم ويقرضونهم، فقالوا: (كيف نقطع مودة قوم إذا أصابتنا سنة فاحتجنا إليهم وسعوا علينا المنازل وعرضوا علينا الثمار إلى أجل؟)[٣].

٢- (وقد تحالف المنافقون مع اليهود، فبين القرآن الكريم موقف المنافقين في المدينة، ووضح ذلك التحالف في غزوة بني النضير)[٤]، فقال -ﷻ-: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾[٥]، ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا﴾ يعني: عبد الله بن أبيّ وأصحابه، ﴿يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ﴾ أي: في الدين، لأنهم كفار مثلهم، وهم اليهود، وهو قوله: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ﴾ أي: من المدينة، ﴿لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلا نُطِيعُ فِيكُمْ﴾ في خذلانكم، أحدًا أبدًا ووعدوهم النصر، بقولهم: ﴿وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ﴾ وكذبهم الله -ﷻ- في ذلك بقوله: ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾، ثم ذكر أنهم يخلفونهم ما وعدوهم من الخروج والنصر،

---

(١) تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمذاني الأسد أبادي أبو الحسين المعتزلي (ت:٤١٥هـ) دار المصطفى (القاهرة) ج٤١٦/٢.

(٢) سورة المائدة: ٥١.

(٣) أحكام القرآن، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (ت:٥٤٣هـ) راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلَّق عليه: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط٣ (بيروت /١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م) ج١٣٨/٢.

(٤) السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، ٥٥٩.

(٥) سورة الحشر: الآية ١١.

بقوله : ﴿ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴾[١]، فكان الأمر على ما ذكره الله -ﷻ-، لأنهم أخرجوا من ديارهم، فلم يخرج معهم المنافقون، وقوتلوا فلم ينصروهم، أظهر الله كذبهم، وبان صدق ما قال الله، وقوله: ﴿ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ ﴾ معناه: ولئن قدر وجود نصرهم، لأن ما نفاه الله لا يجوز وجوده، قال الزجاج: معناه: لو قصدوا نصر اليهود، لولوا الأدبار منهزمين، ثم لا ينصرون، يعني: ابن النضير لا يصيرون منصورين، إذا انهزموا ناصروهم[٢].

(وكان رهط من المنافقين قد بعثوا إلى اليهود قائلين لهم: (أن اثبتوا وتمنعوا فإنا لن نسلمكم، إن قوتلتم قاتلنا معكم، وإن خرجتم خرجنا معكم، فتربصوا ذلك منهم، فلم يفعلوا، وقذف الله في قلوبهم الرعب...)[٣] (لقد غر اليهود عرض رأس النفاق وحسبوا أنه سيبر بوعده ويدخل معهم حصنهم ويقاتل المسلمين، وما أدركوا أنه لو كان صادقاً لواجه النبي -ﷺ- وهو بين قومه وفي مدينته، وما دروا أن الذي يظهر الإسلام خوفاً من محمد لا يمكن أن ينحاز إليهم فيحاربه معهم، إن قلب ابن أُبي قد انهزم سلفاً أمام الرسول -ﷺ- فنافق، فلا يمكن أن يقاتل بعد ذلك مع أحد أبداً)[٤].

يتضح مما سبق أن قلب المنافق مملوءاً بحب الكافرين ولم نجد فيه أي محبة للمؤمنين إذ كيف يجتمع في قلبه حبهم وحب من يخالفهم في كثير من الأمور؟! بل إن أكبر خطر تهددت به الأمة الإسلامية على مر العصور هو النفاق، ولذلك قال الله -ﷻ-: ﴿ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾[٥]، والحصر في الآية لبيان أولويتهم في العداوة، ولهذا كان مصيرهم يوم القيامة أسوأ مصير في الدرك الأسفل من النار، لأنهم شر من الكفار الصرح، فبلية المؤمنين بهم أعظم من بليتهم بالكفار

(١) سورة الحشر: الآية ١٢.

(٢) ينظر: الوسيط في تفسير القرآن المجيد، ج٤/٢٧٦.

(٣) الدرة الثمينة في أخبار المدينة، ٧٥.

(٤) فدائيون من عصر الرسول، ٧٠-٧٣.

(٥) سورة المنافقون: جزء من الآية ٤.

المجاهرين، لأنهم لا يظهرون ما يعتقدون، يعملون في الخفاء، ويظهرون لباس الإخوان والأصدقاء فهم مستأمنون لا يحسب لهم حساب ولا يراقبون ولا يحترز منهم إلا القليل من المؤمنين، والعدو المخالط المداخل المساكن أخطر وأشد كيدا من العدو الظاهر البعيد، فهم أخطر من الجيوش العسكرية، والانحرافات الفكرية لأن أصحابها أعداء معروفون واضحون لا يقبل كثير من الناس أقوالهم(١).

وفي نهاية هذا المبحث نلاحظ ان أساليب المنافقين اتخذت أشكالا شتى، بعضها مخطط مدروس وبعضها عفوي مرتجل، وهي في كلتا الحالتين جاءت تعبيرا عن التكوين النفسي والاجتماعي لشخصية (المنافق) واستهدفت وضع الحواجز والعوائق في طريق النظام السياسي الاسلامي(٢).

ويتعلم السياسي –من سيرته العطرة– كيف كان –ﷺ– يتعامل مع أشد خصومه السياسيين المنحرفين، كرئيس المنافقين عبد الله بن أبي ابن سلول الذي أظهر الإسلام وأبطن الكفر والبغض لرسول الله –ﷺ–، وكيف كان يحوك المؤامرات، وينشر الإشاعات التي تسيء إلى رسول الله –ﷺ– لإضعافه وتنفير الناس منه، وكيف عامله –ﷺ–، وصبر عليه وعلى حقده، حتى ظهرت حقيقته للناس فنبذوه جميعاً حتى أقرب الناس له وكرهوه والتفوا حول قيادة النبي –ﷺ–.

(١) ينظر: السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، ٦.

(٢) ينظر: دراسة في السيرة، ٣٠٧.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته وفضله تتم الصالحات ، وتزكو الأعمال الباقيات، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وعلى اله وصحبة اجمعين، وبعد :

لقد تبين من خلال هذا البحث أنّ الإسلام جاء بمبادئ عامة تحكم التنظيم السياسي في كل زمان ومكان، مثل مبادئ العدل والمساواة، والشورى وضمان الحريات، ومسئولية الحكام وتقييد سلطاتهم بتعزيز إرادة الأمة، وهذه المبادئ أقرتها النصوص القرآنية، وما ورد عن الرسول -ﷺ- من أحاديث وأفعال، وتلك المبادئ بطبيعتها العامة صالحة لكل زمان ومكان وتتخذ صورًا مختلفة في التطبيق.

وبعد العرض لهذه المباحث من (المعارضة السياسية للنبي (ﷺ) في العهد المكي والمدني)، هناك جملة من النتائج التي توصلت إليها، ومن أهمها :

١- إن كل السياسيّين إذا ما أرادوا لسياستهم ولدولتهم النجاح والتوفيق فعليهم الأخذ بكل ما من شأنه أن يؤدي إلى ذلك من وسائل وأساليب نظيفة والنظر الى اهداف سامية وشريفة ويأتي في مقدمة ذلك المنهج السياسي للنبي (ﷺ)

٢- إن الناس بطبيعتهم التي فطرهم الله عليها يحبون منهج نبينا محمد (ﷺ) وهذا مدعاة لقبول لمنهج وسياسة نبيهم وتحصيل مبتغاه في سياسة الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور.

٣- إن أصحاب الهمم العالية والمشاريع الكبيرة لا يلتفتون إلى ظلم الناس لهم وصدودهم عنهم وطعنهم فيهم ولا ينتظرون جزاءاً من البشر، إنما يحتسبون الأجر عند الله تعالى هو مولاهم ونعم المولى ونعم النصير.

٤- إن للسياسة على منهج النبوة آثاراً كثيرة وفوائد عظيمة في الدنيا وفي الآخرة، ففي الدنيا القبول عند الناس والراحة النفسية والاطمئنان القلبي، وبناء الاوطان والمجتمعات، وفي الآخرة الفوز برضا الله تعالى والجنة، فهي مدعاة للتنافس فيما بين المتنافسين في مضمار الأخرة.

والله ولي التوفيق

المصادر والمراجع بعد القران الكريم

١. أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن الوليد ابن عقبة بن الأزرق الغساني المكي المعروف بالأزرقي (ت:٢٥٠هـ) تحقيق: رشدي الصالح ملحس، دار الأندلس للنشر (بيروت).

٢. الاستيعاب في معرفة الأصحاب، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت:٤٦٣هـ) تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، ط١ (بيروت/١٤١٢هـ/١٩٩٢م) .

٣. الاشتقاق، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت:٣٢١ه) تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، ط١ (بيروت/١٤١١هـ /١٩٩١م).

٤. الإصابة في تمييز الصحابة، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت:٨٥٢هـ) تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود و على محمد معوض، دار الكتب العلمية، ط١ (بيروت/١٤١٥هـ) .

٥. الأصبهاني في الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، إسماعيل بن محمد بن الفضل ابن علي القرشي الطليحي التيمي الأصبهاني أبو القاسم الملقب بقوام السنة (ت:٥٣٥هـ) تحقيق: محمد بن ربيع بن هادي عمير المدخلي، دار الراية، ط٢ (الرياض/١٤١٩هـ/١٩٩٩م).

٦. الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي الخراساني أبو بكر البيهقي (ت:٤٥٨هـ) تحقيق: أحمد عصام الكاتب، دار الآفاق الجديدة، ط١ (بيروت/١٤٠١هـ).

٧. أعلام النبوة، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الشهير بالماوردي (ت:٤٥٠هـ) دار ومكتبة الهلال، ط١ (بيروت/ ١٤٠٩هـ).

٨. الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي (ت:١٣٩٦هـ) دار العلم للملايين، ط١٥ (٢٠٠٢م).

٩. الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي (ت:١٣٩٦هـ) دار العلم للملايين، ط١٥ (٢٠٠٢م).
١٠. الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله (ﷺ)، والثلاثة الخلفاء، سليمان بن موسى بن سالم بن حسان الكلاعي الحميري أبو الربيع (ت:٦٣٤هـ) دار الكتب العلمية، ط١ (بيروت/١٤٢٠هـ) .
١١. البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت:٧٧٤هـ) تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط١ (١٤٠٨هـ/١٩٨٨م).
١٢. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت:٧٤٨هـ) تحقيق: عمر عبدالسلام التدمري، دار الكتاب العربي، ط٢ (بيروت/١٤١٣هـ/١٩٩٣م).
١٣. تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس، حسين بن محمد بن الحسن الديار بكري (ت:٩٦٦هـ) دار صادر (بيروت).
١٤. تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك) محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي أبوجعفر الطبري (ت:٣١٠هـ) دار التراث، ط٢ (بيروت/ ١٣٨٧هـ) .
١٥. تاريخ دمشق، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (ت:٥٧١هـ) تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (١٤١٥هـ/١٩٩٥م).
١٦. تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمذاني الأسد أبادي أبو الحسين المعتزلي (ت:٤١٥هـ) دار المصطفى (القاهرة).
١٧. التحالف السياسي في الإسلام، منير محمد الغضبان، مكتبة المنار، ط١ (الأردن/١٤٠٢هـ/١٩٨٢م).
١٨. تخريج أحاديث وآثار كتاب في ظلال القرآن، لسيد قطب، علوي بن عبد القادر السقاف، دار الهجرة للنشر والتوزيع، ط٢ (١٤١٦هـ/١٩٩٥م).

١٩. التراتيب الإدارية والعمالات والصناعات والمتاجر والحالة العلمية التي كانت على عهد تأسيس المدنية الإسلامية في المدينة المنورة العلمية، محمد عبد الحي بن عبد الكبير ابن محمد الحسني الإدريسي المعروف بعبد الحي الكتاني (ت:١٣٨٢هـ) تحقيق: عبد الله الخالدي، دار الأرقم، ط٢ (بيروت).
٢٠. تهذيب الأسماء واللغات، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت:٦٧٦هـ) عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه ومقابلة أصوله: شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية، دار الكتب العلمية (بيروت).
٢١. الثقات، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد التميمي أبو حاتم الدارمي البستي (ت:٣٥٤هـ) مراقب الطبع: محمد عبد المعيد خان، مدير دائرة المعارف العثمانية، دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد، ط١ (الهند/١٣٩٣هـ/١٩٧٣م).
٢٢. جالب السرور لربات الخدور، أبو محمد عبد الكريم بن صالح بن عبد الكريم الحميد، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، ط٢ (المملكة العربية السعودية/١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م) .
٢٣. جمل من أنساب الأشراف، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري (ت:٢٧٩هـ) تحقيق: سهيل زكار و رياض الزركلي، دار الفكر، ط١ (بيروت/١٤١٧هـ/١٩٩٦م).
٢٤. الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة، محمد بن أبي بكر بن عبد الله بن موسى الأنصاري التلمساني المعروف بالبري (ت: بعد ٦٤٥هـ) تنقيح وتعليق: محمد التونجي، دار الرفاعي للنشر الطباعة والتوزيع، ط١ (الرياض/١٤٠٣هـ/١٩٨٣م).
٢٥. حياة محمد ورسالته، محمد علي اللاهوري القادياني (ت:١٩٥١م) ترجمه إلى الإنجليزية: محمد يعقوب خان، ترجمه إلى العربية: منير بعلبكي (ت:١٤٢٠هـ) دار العلم للملايين، ط٢ (بيروت/١٣٩٠هـ).

٢٦. خاتم النبيين (صلى الله عليه وسلم)، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (ت:١٣٩٤هـ) دار الفكر العربي (القاهرة/١٤٢٥هـ) ج١/٣٥٦.
٢٧. الخصائص الكبرى، عبدالرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (ت:٩١١هـ) دار الكتب العلمية (بيروت).
٢٨. دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي الخراساني أبو بكر البيهقي (ت:٤٥٨هـ) دار الكتب العلمية، ط١ (بيروت/١٤٠٥هـ) .
٢٩. ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، عبدالرحمن ابن محمد بن محمد ابن خلدون أبو زيد ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (ت:٨٠٨هـ) تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، ط٢ (بيروت/١٤٠٨هـ/١٩٨٨م).
٣٠. رجال حول الرسول، خالد محمد خالد ثابت (ت:١٤١٦هـ) دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط١ (بيروت/١٤٢١هـ/٢٠٠٠م).
٣١. الرحيق المختوم، صفي الرحمن المباركفوري (ت:١٤٢٧هـ) دار الهلال، ط١ (بيروت /١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م).
٣٢. الرسول القائد، محمود شيت خطاب (ت:١٤١٩هـ)، دار الفكر، ط٦ (بيروت/١٤٢٢هـ).
٣٣. الرقة والبكاء لابن قدامة، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي الشهير بابن قدامة المقدسي (ت:٦٢٠هـ) تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، دار القلم، ط١ (دمشق/١٤١٥هـ/١٩٩٤م).
٣٤. الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله ابن أحمد السهيلي (ت: ٥٨هـ) تحقيق: عمر عبد السلام السلامي، دار إحياء التراث العربي، ط١ (بيروت/ ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م).

٣٥. زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت:٥٩٧هـ) تحقيق: عبدالرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، ط١ (بيروت١٤٢٢).
٣٦. سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد، محمد بن يوسف ألصالحي الشامي (ت: ٩٤٢هـ) تحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود و علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، ط١ (بيروت/١٤١٤هـ/ ١٩٩٣ م).
٣٧. سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي المكي (ت:١١١١هـ) تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، ط١ (بيروت/١٤١٩هـ/١٩٩٨م).
٣٨. السنن الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي الخراساني أبو بكر البيهقي (ت:٤٥٨هـ) تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط٣ (بيروت /١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣ م).
٣٩. سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي) محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء المدني (ت:١٥١هـ) تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر، ط١ (بيروت/١٣٩٨هـ/١٩٧٨م).
٤٠. السيرة الحلبية (إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون) علي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي أبو الفرج نور الدين ابن برهان الدين (ت:١٠٤٤هـ) دار الكتب العلمية، ط٢ (بيروت/١٤٢٧هـ).
٤١. السيرة النبوية (دراسة تحليلية) محمد عبد القادر ابو فارس، دار الفرقان، ط١ (الاردن /١٤١٨هـ/١٩٩٧م).
٤٢. السيرة النبوية (من البداية والنهاية لابن كثير) أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت:٧٧٤هـ) تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع (بيروت/١٣٩٥هـ/١٩٧٦م).

٤٣. السيرة النبوية في ضوء المصادر الاصلية (دراسة تحليلية) مهدي رزق الله احمد، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية، ط١ (الرياض/١٤١٢هـ/١٩٩٢م).
٤٤. السيرة النبوية لابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري أبو محمد جمال الدين (ت: ٢١٣هـ) تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ط٢ (مصر/١٣٧٥هـ/١٩٥٥م).
٤٥. السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي، علي أبو الحسن بن عبد الحي بن فخر الدين الندوي (ت:١٤٢٠هـ) دار ابن كثير، ط١٢ (دمشق/١٤٢٥ه).
٤٦. شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، أبو عبد الله محمد بن عبد الباقي ابن يوسف بن أحمد بن شهاب الدين بن محمد الزرقاني المالكي (ت:١١٢٢هـ) دار الكتب العلمية، ط١ (١٤١٧هـ/١٩٩٦م).
٤٧. شرح ديوان الحماسة، أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي الأصفهاني (ت:٤٢١هـ) تحقيق: غريد الشيخ، وضع فهارسه العامة: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط١ (بيروت/١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م).
٤٨. شرح صحيح البخاري لابن بطال، ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (ت:٤٤٩هـ) تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، ط٢ (الرياض /١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م) .
٤٩. الشفا بتعريف حقوق المصطفى، عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي أبو الفضل (ت:٥٤٤هـ) دار الفيحاء، ط٢ (الاردن/١٤٠٧هـ).
٥٠. شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، محمد بن أحمد بن علي تقي الدين أبو الطيب المكي الحسني الفاسي (ت:٨٣٢هـ) دار الكتب العلمية، ط١ (١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠).
٥١. صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي ثم القاهري (ت:٨٢١هـ) دار الكتب العلمية (بيروت).
٥٢. صور الإعلام الإسلامي في القرآن الكريم (دراسة في التفسير الموضوعي) عاطف إبراهيم المتولي رفاعي، اشراف: حاتم محمد منصور مزروعة،

رسالة ماجستير، قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية العلوم الإسلامية، جامعة المدينة العالمية في ماليزيا، (١٤٣٢هـ/٢٠١١م).

٥٣. الطبراني في المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي أبو القاسم الطبراني (ت:٣٦٠هـ) تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، ط٢ (القاهرة).

٥٤. الطبقات الكبير، محمد بن سعد بن منيع الزهري (ت:٢٣٠هـ) تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، ط١ (القاهرة/٢٠٠١م).

٥٥. طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلّام بن عبيد الله الجمحي بالولاء أبو عبد الله (ت:٢٣٢هـ) تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المدني (جدة).

٥٦. عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، محمد بن محمد بن محمد بن أحمد ابن سيد الناس اليعمري الربعي أبو الفتح فتح الدين (ت:٧٣٤ه) تعليق: إبراهيم محمد رمضان، دار القلم، ط١ (بيروت/١٤١٤هـ/١٩٩٣م).

٥٧. فاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، علي بن عبد الله بن أحمد الحسني الشافعي نور الدين أبو الحسن السمهودي (ت:٩١١هـ) دار الكتب العلمية، ط١ (بيروت/١٤١٩هـ).

٥٨. فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، دار المعرفة (بيروت/١٣٧٩هـ).

٥٩. الفصول في السيرة، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت:٧٧٤هـ) تحقيق وتعليق: محمد العيد الخطراوي و محيي الدين مستو، مؤسسة علوم القرآن، ط٣ (١٤٠٣هـ).

٦٠. فقه السيرة، محمد الغزالي السقا (ت:١٤١٦هـ) دار القلم، ط١ (دمشق /١٤٢٧هـ).

٦١. القول المبين في سيرة سيد المرسلين، محمد الطيب النجار (ت: ١٤١١هـ) دار الندوة الجديدة (بيروت).

٦٢. الكامل في التاريخ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري عز الدين بن الأثير (ت:٦٣٠هـ) تحقيق: عمر عبدالسلام تدمري، دار الكتاب العربي، ط١ (بيروت/١٤١٧هـ /١٩٩٧م) .
٦٣. المجتمع الإسلامي وأصول الحكم، محمد الصادق عفيفي، دار الاعتصام، ط١ (القاهرة /١٤٠٠هـ/١٩٨٠م) .
٦٤. محمد (ﷺ) في مكة، المستشرق الإنجليزي ويليام مونتجمري وات، ترجمه إلى العربية: عبد الرحمن عبد الله الشيخ، راجعه وعلق عليه: الدكتور أحمد الشلبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة/١٤١٥هـ).
٦٥. مرويات غزوة بني المصطلق وهي غزوة المريسيع، إبراهيم بن إبراهيم قريبي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة (المملكة العربية السعودية).
٦٦. المسالك والممالك، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي (ت:٤٨٧هـ) دار الغرب الإسلامي (١٩٩٢م).
٦٧. مسند أبي يعلى، أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي الموصلي (ت:٣٠٧هـ) تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، ط١ (دمشق /١٤٠٤هـ/١٩٨٤م).
٦٨. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله (ﷺ)، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت:٢٦١ه) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي (بيروت) كتاب الجهاد والسير، باب مالقي النبي (ﷺ) من اذى المشركين والمنافقين، رقم الحديث: (١٧٩٧).
٦٩. مع المصطفى، عائشة عبدالرحمن (بنت الشاطئ) دار الكتاب العربي، ط١ (بيروت /١٣٩٢هـ/١٩٧٢م).
٧٠. المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي أبو القاسم الطبراني (ت:٣٦٠هـ) تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين (القاهرة).

٧١. معجم البلدان، شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت:٦٢٦هـ) دار صادر، ط٢ (بيروت/١٩٩٥م).
٧٢. معجم الصحابة، أبو الحسين عبد الباقي بن قانع بن مرزوق بن واثق الأموي بالولاء البغدادي (ت: ٣٥١هـ)، تحقيق: صلاح بن سالم المصراتي، مكتبة الغرباء الأثرية، ط١ (المدينة المنورة/١٤١٨هـ).
٧٣. معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي (ت:٤٨٧هـ) عالم الكتب، ط٣ (بيروت/ ١٤٠٣هـ).
٧٤. المغازي، محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء المدني أبو عبد الله الواقدي (ت:٢٠٧هـ) تحقيق: مارسدن جونس، دار الأعلمي، ط٣ (بيروت/١٤٠٩هـ/١٩٨٩م).
٧٥. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الدكتور جواد علي (ت: ١٤٠٨هـ) دار الساقي، ط٤ (١٤٢٢هـ/٢٠٠١م).
٧٦. المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: ٥٩٧هـ) تحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط١ (بيروت/١٤١٢هـ/١٩٩٢م).
٧٧. نسب قريش، مصعب بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير، أبو عبد الله الزبيري (ت:٢٣٦هـ) تحقيق: ليفي بروفنسال، دار المعارف، ط٣ (القاهرة).
٧٨. نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (ﷺ)، عدد من المختصين، إشراف، الشيخ صالح ابن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، ط٤ (جدة).
٧٩. نهاية الأرب في فنون الأدب، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري شهاب الدين النويري (ت:٧٣٣هـ) دار الكتب والوثائق القومية، ط١ (القاهرة/١٤٢٣هـ).
٨٠. هذا الحبيب محمد رسول الله (ﷺ) يا محب، أبو بكر الجزائري، دار الخاني، ط٣ (المملكة العربية السعودية/١٤٠٩هـ/١٩٩٨م).